الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA

faculté : des lettres et des langues

جامعة8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

N° :.................

الرقم:.......................

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـــر

(تخصص أدب جزائرى)

المديح النّبوي في مولديات القرن الثّامن للهجرة بتلمسان
دراسة موضوعية فنيّة

مقدمة من قبل:

رقية مزعاش

تاريخ المناقشة: **2016/6/ 21**

العياشي سعدوني	رئيسًا	الرتبة: أستاذ مساعد–أ–	الجامعة: 8 ماي 1945قالمة
عبد العزيز بومهرة	مقررًا	الرتبة: أستاذ التّعليم العالي	الجامعة: 8 ماي 1945قالمة
أحلام عثامنية	ممتحناً	الرتبة: أستاذ مساعد–أ–	الجامعة: 8 ماي 194قالمة

السنة: 1437ه_ 2016م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

يقول الشّاعر: أحمد البحتري

أَرَدْتُ التِقَـاطَ الدُّرِ من بَحْـرِ عِلْمِهِمْ   ومَـا البَحْرُ فِي الحَقِيقَةِ واسِعٌ
نُجُـومُ سَمَاءِ الكَوْنِ مَنْ يُحْصِي عَدَّهـا   إذا البَحْرُ فِي دُنْيَا الدَّجِنَّةِ سَاطِعٌ
وما غايتي من جمْعِ دُرٍّ بِعقْدِهِ   ولَكِنَّ نَظْمَ الدُّرِ فيِ العِقْدِ رَائِعٌ
لِيَنْتَفِعَ الإِنْسَانُ منْ عِلْمِ سَادَةٍ   مَضَى عَهْدُهُم، والعِلْمُ بَاقٍ ونَافِعٌ
فَهَذَا تُرَاثٌ خَالِدٌ قَدْ جَمَعْتُهُ   بِسِفْرٍ جَدِيدٍ للفَوائِدِ جَامِعُ

شكر وتقدير

الحمد وجزيل الشّكر لله عزّ وجلّ الذي وفقنا، والذي لولا توفيقه ما كنّا بلغنا ما بلغناه إلاّ بفضله ورحمته.

يسرّنا أن نتوجه بخالص الشّكر والتّقدير للأستاذ الدّكتور عبد العزيز بومهرة الذي قبل الإشراف على مذكرتي، فكان خير معين وموّجه لي، وأسأل الله أن يجزل له الأجر والعطاء في الدّارين.

نتوجه بالشّكر أيضا لأسرة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة الثّامن ماي – قالمة – على ما قدّموه لنا طيلة سنوات الدّراسة، وإلى كلّ من ساعدنا في إنجاز هذا العمل.

كما لا يفوتنا أن نوجه امتناننا إلى أعضاء اللّجنة المناقشة على كرم القراءة.

الإهـــــداء

الحمد لله نحمده هو المستحق للحمد والثّناء، نحمده حمدا كثيرا مباركا، على ما هدانا إياه.

يقول الله عزّ وجلّ:﴿ وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾

إلى قدوتي ومثالي الأعلى في الحياة

إلى من قال فيها خير الأنام " الجنّة تحت أقدام الأمهات"

إلى والدي الكريمين حفظهما الله أهدي ثمرة تخرجي.

إلى سندي في الحياة، ودافعي إلى نيل الدّرجات العلا والنّهل من معين العلم، إخوتي أخص بالذّكر محمد الأمين على تعبه ومجهوده

إلى من تقاسمنا معي حلو الأيام ومرّها: لطيفة، نصيرة، سميرة، لينةعواطف.

إلى كل طلبة ماستر أدب جزائري دفعة2016/2015.

إلى كلّ من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث.

رقية

مقدمــة

الشّعر هو تلك التّجربة الانفعالية الخلاقة، التي يحاول الشّعراء من خلالها إيصال ما يختلجهم من مشاعر إلى القارئ في شكل منمّق وبديع، وبلغة متينة، تؤدي فيها الصّور والخيالات دورا كبيرا في تعميق الفكرة، والغوص بين ثناياها لذا صار استخدامها ضروريا لدى الشّعراء لقدرتها على استيعاب التّجارب الثّرية في مجال الإبداع.

ولما كان العرب أمّة شعر وبيان. فقول الشّعر، والشّغف بروايته، والطّرب عند استماع الجيّد منه أشياء متجذرة في نفس كل فرد، ومتمكّنة منه كالطّبع أو الغريزة. فهو آداتهم في التّعبير عن أنفسهم، وآمالهم وآلامهم، في غبطتهم وحزنهم، ولذلك فالعرب لا تنساه، ولا تستغني عنه أينما أقامت أو ارتحلت.ولا عجب أن ينتقل هذا الفن مع أصحابه إلى بلاد المغرب، ويشتهر في كامل أقطاره وربوعه.

خضع الشّعر في المغرب لجملة من العوامل، جعلته يزدهر وينضج، وظهرت أغراض جديدة، كما استحدثت فنون أخرى، ومن الأغراض التي راجت في المغرب الأوسط منذ القرن الخامس الهجري، شعر الزّهد، والتّصوف، والمديح النّبوي، ولأنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم هو أهمّ الخلائق على وجه الأرض، وهوإنسان يستحق الثّناء وكلّ المدح، لعظمة خصاله وجلالة صفاته، فقد أبدع الكثير من الشّعراء في مدحه والذّود عنه، خاصة خلال القرن السّابع لهجرة أين شاعت المدائح النّبوية كمصطلح أدبي، ونمط شعري مستقل له هويته، وكيانه، ومكانته بين الأغراض الأخرى، إذ أصبح غصنا مهما من أغصان شجرة المدح الوارفة، هذا الانتشار والذّيوع كان انعكاسه واضحا على القرن الثّامن الهجري الذي تميّز بنفحة دينية صوفية، جعلت أبناء هذه الرّقعة يميلون إلى الشّعر الدّيني الذي يعبّر عن الالتزام والتّدين، والرّغبة في الجزاء، والثّواب، حيث لجأ الشّعراء إلى استرجاع السّيرة النّبوية، والتّغني بالشّمائل المحمّدية، والتّوسل إلى الله أن يبلغه المدينة ليحظى بتقبيل قبر الرّسول.

إنّ شعر المولديات بما يحتويه من مضامين دينية، ومواضيع وثيقة الصّلة بالنّصوص القرآنية والسّيرة النّبوية، يسهم في إبراز القيم الدّينية والثّقافية للمجتمع، فالقصائد المولدية لا تعدّ نصوصا شعرية فحسب، بل تمثّل ظاهرة فنيّة ثريّة من شأنها تنبيه الأجيال لإدراك ماضيها الثّقافي وتراثها الأصيل.

بعد اطّلاعنا على التّوجه الشّعري في هذه الفترة، استوقفتنا ظاهرة بارزة، بل طاغية على الشّعر، وهي نظم قصائد في مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ارتبط نظمها وقولها بالاحتفال بليلة المولد النّبوي الشّريف، سميت بالمولديات، ومن ثمة كان اهتمامنا بهذا الفن، ورأينا أنّ أجمل ما يقدّمه الإنسان، ويسلّط عليه الضّوء هو ما خلّفه الأجداد من أثر حميد، وتراث ماجد تليد، وسجّل تاريخي حافل بالعلم والأدب، فحدّدنا موضوع البحث بعنوان :

"المديح النّبوي في مولديّات القرن الثّامن للهجر ة بتلمسان – دراسة موضوعية فنيّة– "

كان اختيارنا لهذا الموضوع، لسببين: الأول أنّه لم يحظ بالدّراسات المناسبة على الرّغم من غزارة مادته، وتنوّع أطره الفنيّة، والسّبب الثّاني يعود إلى رغبة شخصية في التّعرف على هذا الفن، والغوص بين ثناياه. فسعينا من خلاله إلى دراسة النّماذج الشّعرية من حيث مضامينها ، وجوانبها الفنيّة محاولين الإلمام بالموضوع من خلال طرح العديد من التّساؤلات:

متى نشأت المدائح النّبوية وكيف تطورت؟ومن همْ أبرز شعرائها عبر العصور؟

ما هي المولديات؟ وعلى ماذا يقوم بناء القصيدة المولدية؟

ما هي أهم مواضيع المديح النّبوي المتطرق إليها من قبل شعراء المولديات؟

ما هي أبرز التّجليات الفنيّة البارزة في القصائد المولدية؟

وللإجابة على هذه التّساؤلات ارتأينا أن يكون بحثنا مقسمّا إلى فصلين تتصدرهما مقدمة وتذيلهما خاتمة حسب ما اقتضته الدّراسة:

مقدّمة: والتي كانت تمهيدا لما أتى بعدها.

الفصل الأوّل: خصصته لتتبع مراحل نشأة المدائح النّبوية وتطّورها، وظهور فن المولديات وازدهاره، وعلاقته بالمدائح النّبوية.

الفصل الثّاني: وفيه الدّراسة التّطبيقية من خلال استخلاص مواضيع، ومضامين الغرض الرّئيس (المديح النّبوي) كما جاءت في القصائد المولدية ودراستها دراسة فنيّة في ذات الوقت.

خاتمة: جاءت حوصلة لما سبق، من خلال استخلاصنا لأبرز النّتائج التي استطعنا الخروج بها.

وقد اعتمدت في بحثي على المنهج التكاملي الذي ناسب موضوع الدّراسة .

ومن المصادر والمراجع التي استعنت بها لإنجاز هذا البحث: (نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب) للمقرّي، (ديوان الثّغري) تحقيق لنّوار بوحلاسة، (تاريخ الأدب الجزائري) لمحمّد طمّار، (المدائح النّبوية) لمحمّد زكي، (أبوحمّو موسى الزّياني حياته وآثاره) لعبد الحميد حاجيات، (تاريخ بني زيان ملوك تلمسان) للتّنسي، كما كانت هناك دراسات تناولت الموضوع من جوانب أخرى نذكر منها:

- الثّغري التّلمساني ومولدياته دراسة أسلوبية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي القديم،إعداد عزيز قيبوج،جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009

- قصيدة المديح النّبوي بالمغرب الأوسط في القرنين الثّامن والتّاسع الهجريين مذكرة لنيل شهادة لماجستير، إعداد صونيا بو عبد الله، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011.

وكأيّ دراسة واجهتنا بعض الصّعاب نذكر منها: صعوبة الحصول على المصادر والمراجع، وقلتّها ما جعلها نادرة في بعض الأحيان، لكن هذا لم يمنعنا من البحث وإتمامه.

وأخيرا نتمنى أن نا قد وفقنا ولو بقدر بسيط في إبراز المواضيع، والظّواهر الفنيّة الموجودة في المولديات، كما نتمنى أن يكون هذا البحث شمعة تنير الدّرب أمام كلّ طالب علم. رغم ما فيه من نقائص وهنّات.

الفصل الأوّل

تطوّر قصيدة المديح النّبوي

الشّعر ديوان العرب مقولة سلّمنا بها، فلطالما كان الشّعر مرافقا للعرب، ومواكبا لكل الأحداث والتّطورات، وعاكسا للحياة في مراحلها وعصورها المختلفة، وهو ما جعله يتعدّد في أغراضه بين:غزل وهجاء ورثاء ومدح، ولمّا كانت قصيدة المدح غصنا مهّما من شجرة المدح الوارفة، فقد تفرّع عنها مع تطور الأزمان العديد من الأغراض كالمدح السّياسي والمدح المذهبي ...، وما لبثت القصيدة المدحية أن انتقلت من قصائد الدّنيا إلى قصائد الدّين فبرزت المدائح النّبوية كغرض مستقّل نتيجة لظروف وعوامل عدّة، وقبل الولوج في الحديث عن نشأة المدائح وتتّبع تطوّرها، وجب علينا تسليط الضّوء على مفهومها .

I. مفهــوم المديح:

أ. لــغة:

وردت كلمة المدح في المعاجم العربية، وتناولها اللّغويون بإسهاب، فلم تخلو معاجمهم سواء القديمة أو الحديثة من تعريف لها، والمعنى اللّغوي في جلّها يصبّ في معنى واحد.

فقد وجدنا في لسان العرب:" المَدَائِحُ مصدر مشتق من مادة مَدَحَ بفتح الحروف الثّلاثة، فيقالَ مدَحَهُ، يَمْدَحُهُ مَدْحاً ومِدْحَةً، والجمع مِدَحٌ وهو المدِيحُ والجمع المِدَائِحُ والأماديحُ، بمعنى أحسن الثّناء عليه "[1]؛ فالمدح هو حسن الثّناء على الممدوح، وهو نقيض الهجاء .

كما ورد معنى المدح في معجم أساس البلاغة بأنّه:"وصف الممدوح بأخلاق حميدة، وصفات رفيعة يتّصف بها، فَيُمْدَحُ عليها "[2]. فالمدح عند القدماء هو وصف الشّخص المراد مدحه بذكر خلال وخصال حميدة، ونسبتها إليه من أجل رفع قيمته، وإعلاء شأنه.

---

(1) ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د، ط)، 1956، مادة (م د ح)، 2/ 590.

(2) الزّمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، مادة م دح، ص 585.

وفي المعجم الوسيط المديح من : "مَدَحَهُ مَدْحاً :أثنى عليه بما لديه من الصِّفات، المِدْحَة، المديح، الأُمْدُوحَةُ جمع مِدَحٌ، ومدائحٌ. المِمَادِحُ :المحاسن تذكر في المدح"[1].

فالمدح إذن هو الإشادة بمحاسن الممدوح، وذكر صفاته الحميدة والثّناء عليه.

أما المديح النّبوي فهو ذلك الفن الشّعري الذي ارتبط بالرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، واتّخذه الشّعراء موضوعا دارت من حوله قصائدهم فذكروا خصاله ومحامده، كما أثنوا عليه، ومدحوه معدّدين صفاته لأنه خير البرية؛ وقد مدح الله تعالى نبيّه الكريم بأنّه قد تخلّق بخلق القرآن، وتأدّب بأدبه في قوله:﴿**وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2]، وجاءت هذه الآية لتؤكّد على عظيم أخلاقه صلّى الله عليه وسلّم.

ب. إصطلاحــا:

وردت في هذا السّياق العديد من التّعريفات التي حاول النّقاد من خلالها إعطاء مفهوم دقيق للمدحة النّبوية وضبطها، فلم تختلف الرّؤى كثيرا، واقتصرت كلّها على مدح الرّسول وذكر فضائله والشّوق إليه والحنين لملقاه، فالمديح النّبوي هو :"ذلك الشّعر الذي ينصبّ على مدح النّبي صلّى الله عليه وسلّم، بتعداد صفاته الخَلْقِيَةِ والخُلُقِيَةِ وإظهار الشّوق لرؤيته وزيارة قبره، والأماكن المقدّسة التي ترتبط بحياة الرّسول مع ذكر معجزاته المادية، والمعنوية ونظم سيرته شعرا، والإشادة بغزواته وصفاته المثلى، والصّلاة عليه تقديرا وتعظيما "[3].

كما أنّ المدائح النّبويّة تتداخل في الغالب مع قصائد الزّهد والتّصوف فهي: "من فنون الشّعر التي أذاعها التّصوف، فهي لون من التّعبير عن العواطف الدّينية وباب من الأدب الرّفيع، لأنّها لا تصدر إلاّ عن قلوب مفعمة بالصّدق والإخلاص"[4] .

---

[1] إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزّيات وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (د،ط)،1972، ص 912.
[2] الآية[4] من سورة القلم .
[3] جميل حمداوي، شعر المديح النّبوي في الأدب العربي ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2007، ص 1.
[4] زكي مبارك، المدائح النّبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 1957، ص 17.

لم يختلف الباحثون كثيرا في مفهومهم للمديح النّبوي فقد اعتبروه :" لونا شعريا جديدا صادرا عن العواطف النّابعة من قلوب مفعمة بحبٍّ صادق وإخلاص متين للنّبي صلّى الله عليه وسلّم"[1].

هذا المديح النّبوي الخالص لا يشبه في مضمونه، وغاياته المدح التّكسبي، أو مدح التّملق الموجه للسّلاطين والأمراء، وإنّما هو خاص بأفضل الخلق محمّد صلّى الله عليه وسلّم، يتّسم بالصّدق، والمحبّة، والإخلاص، والوفاء، والتّضحية، حاول الشّعراء من خلاله طلب الشّفاعة وبيان حنينهم إليه، وشوقهم له مشيدين بخصاله، ذاكرين معجزاته، معدّدين صفاته فـ:"المديح النّبوي لم يك مجرّد نظم تعليمي أو مدرسي، بل كان في معظمه شعرا راقيا، وهذا الشّعر ذو خصوصية أساس تتمثّل بخاصة في الإعراب الصّادق عما تكِّنه العاطفة لهذا النّبي العظيم، وتموج به المشاعر من حبٍّ عارمٍ، وشوقٍ كبيرٍ إلى رؤية النّبي، والتّشفّع به يوم لا ينفع مال ولا بنون"[2].

عدّ المديح النّبوي شعرا راقيا لما حمله من صدق العواطف والمشاعر، ولاختصاصه بشخص النّبي الكريم، واعتبر غرضا من أغراض التّصوف والفعال المحمّدية.

---

(1) شهاب الدّين محمّد بن أحمد الأبشيهي، المستطرف في كلّ فن مستظرف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 2001، ص 342 .

(2) محمّد مرتاض، الشّعر الجزائري القديم من (ق3هـ إلى مطلع العصر الحديث)، وزارة الثّقافة، الجزائر، (د،ط)، (د،ت)، ص141.

II. نشـأة المدائـــح النّبويـــة :

لقد اصطفى الله نبيّه من بين سائر خلقه، واختصّه بالرّسالة، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وأمينا على وحيه، وهاديا لعباده، ميّزه بسمات فاق بها جميع البشر، وبلغ بها المقامات الرّفيعة، والدّرجات العالية، فكانت مكانته عند المسلمين كبيرة، جعلت قلوبهم تنبض بحبّه، وألسنتهم تلهج بذكره، لأنّ القلوب مجبولة على حبّ من أحسن إليها، وظهر في هذه الأثناء نوع جديد من المدائح اقتصر فيه الشّعراء على مدح الرّسول وذكر صفاته، سمّي هذا النّوع بالمدائح النّبوية، ومع أنّ الكثير من النّقاد والدّارسين يجمعون على ارتباط المدائح النّبوية بانتشار الرّسالة المحمدية إلاّ أنّ ذلك لا يمنع من وجود شذرات قبل البعثة؛ فما قاله عمّه عبد المطلب وقت مولده يعدّ من أولى المدائح، وفي هذا يقول أحد الدّارسين : " ولعّل أوّل ما نعرفه من الشّعر الذي قيل في الرّسول صلى الله عليه وسلّم في الدّور المكّي من حياته، هو الشّعر المنسوب إلى أبي طالب عمّ الرّسول وكافله"[1].

فقد شبّهه بالنّور والإشراق الوّهاج الذي أنار الكون سعادة وحبورا بقدومه يقول[2][]:

وأنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشرَقَتْ   الأرضُ وَضاءَتْ بِنـُورِكَ الأُفق

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وفي   النُّورِ وسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتـرِقُ

يقول في موضع آخر[3] [الطّويل]:

وأبْيَضَ يُسْتَسْقِي الغَمَامُ بِوَجْهِهِ   رَبِيـعُ اليَتَـامَى عِصْمَةً لِلأَرَامِلِ

لَعَمْرِي لَقَدْ كَلِفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَدَ   وإِخْوَتِـه دَأْبَ المحِبِّ المُوَاصِلِ

فَمَنْ مِثْلُهُ في النَّاسِ آيُ مُؤَمَّلِ   إذا قَاسَهُ الحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ

حَليمٌ رَشِيدٌ عَـادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ   يُـوَالِي إلهـاً لَيْـسَ عَنْهُ بِغَـافِـلِ

فعبد المطلب يمدح ابن أخيه مصرحا بحبه، ومكانته ذاكرا صفاته الحميدة من حلم، ورشد، وعدل.

---

(1) زكي مبارك، المدائح النّبوية في الأدب العربي، ص 7.

(2) ديوان أبي طالب، شرح محمّد التّونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994،ص 5.

(3) م.ن، ص 67-72.

كما نجده يذكر ما لقيه الرّسول من عنت وتكذيب من سائر بطون قريش، ويصفه بالصّدق حتّى لقّب فيما بعد بالصّادق الأمين[1] [الطّويل] :

لَقَدْ عَلِمُو أنَّ ابننا لاَ مُكَذَّبٌ لَدَيْنَا ولَا يُعْنَى بِقَوْلِ الأَبَاطِلِ

وأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدُ فيِ أَرُومَةٍ تَقْصُرُ عَنْهَا صُورَةُ المُتَطَاوِلِ

مع بداية الدّعوة الإسلامية، وانتشارها ظهر العديد من الشّعراء المنافحين عن الدّين من أمثال: عبد الله بن رواحة، كعب بن مالك، وحسّان بن ثابت، وابتعد في هذه الفترة الثّناء عن المكسب المادي الدّنيوي، وأصبحت الغاية نشر الدّعوة واتّقاء الفواحش مستمّدين بلاغة الأسلوب، وجمال التّعبير، وصدق العبارة، وطهر المعنى من القرآن الكريم، حيث أصبحت الأفكار عقائدية اجتماعية سياسية تعبّر عن التّجربة الشّعورية فالإسلام عقيدة وشريعة، سلوك وتطبيق، أتى لإخراج النّاس من الظّلمات إلى النّور، وإكمال ما أتت به بقية الدّيانات .

شجّع الإسلام قرض الشّعر، كما شجّع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، حسّان بن ثابت إذ قال له: " أهجهم أو هَاجِهِمْ وروح القدس معك" [2]، وجاء شعر هذه الفترة من قبيل المساجلات والنّقائض مع شعراء قريش ولهذا :"فالمديح النّبوي ليس خاصا، وإنّما يأتي عرضا أثناء تلك القصائد" [3]، إذ لم ينشئ الشّعراء لهذا الغرض قصائد مستقلة بل جاء المديح مضمنا في قصائد النقائض والمساجلات مع شعراء قريش.

ومن نماذجه قول حسّان بن ثابت مادحا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، مفتخرا بالرّسالة التي يحملها[4] [الطّويل]:

أَغَرُّ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَةِ خَاتَمٌ مِنَ الله مَشْهُودٌ يَلُوحُ ويَشْهَدُ

وشَقَّ لَـهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّـهُ فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وهَذَا مُحَمَّدٌ

(1) م.س، ص 74.

(2) أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن الكثير، بيروت، لبنان، ط1، 2002، م3، 581/6.

(3) زبير دراقي، المستقصي في الأدب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، (د،ت)، ص46.

(4) ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص10.

تغني الشّعراء ومنهم حسّان بجميل أفعال الرّسول، وحسن سيرته وخصاله، فالأغرُّ كريم الفعال واضِحُهَا، فيذكر دليل نبوّته، وأكبرها جميعا القرآن الكريم المنزّل من الله على نبيّه، ثمّ وصفه بالمشهود وفي ذلك إحالة إلى قوله تعالى: **"إنّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودَا "**[1]، كما يفاخر في البيت الثّاني بأنّ الله قد اشتقّ له اسما من أسمائه، وغشيه بلطفه ورحمته وألبسه لباس السّؤدد، وسوره بسوار الهيبة والعظمة. وذو العرش إشارة إلى أنّ الله نقش اسم نبيه على ساق العرش، كما يؤكّد على أنّ الرّسول قد تحلّى بالعديد من الصّفات كدماثة الخلق ولين الجانب، وأخذ من اسمه الكثير فالمحمّد هو الذي كثرت خصاله المحمودة .

يقول أيضا مشيدا بفضل النّبي الكريم في هداية الأمة[2] [الطّويل]:

نَبّيٌ أتَـانـا بَعْدَ يـأْسٍ وفَتْـرَةٍ مِنَ الرُّسْلِ والأَوْثَانُ فِي الأَرْضِ تُعْبَدُ

فَأَمْسَى سِرَاجًا مُسْتَنيراً وهَادِياً يَلُوحُ كَمَـا لاَحَ الصَّقيـلُ المُهَّنَـدُ

وأَنْـذَرَنَـا نَـارًا وبَشَّرَنَـا جَنـّةً وعلّـمنـا الإسلام فـلله نحـمـده

يصف الشّاعر ما كان بالأمّة من شرك وضلالة، وكيف أطبق الجهل على النّاس فَعَمَوْا عن طريق الهدى والحقّ وتنكّروا لخالقهم، واتّخذوا ممّا يصنعون آلهة يعبدونها، وبمجيء محمّد قُضِيَ على الشّرك، وطُهِّرَتِ الأرض من الرّجس والأوثان، وانتشلهم من درب الوثنية إلى كرامة النّفس وعزّتها حيث العبودية الحقّة .

أمّا كعب بن مالك فيقول مفاخرا بالرّسول الكريم[3] [البسيط] :

فِينَا الرَّسُولُ شِهَابٌ ثُمَّ يَتْبَعُهُ نُورٌ مُضِيٌء لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهُبِ

الحَقُّ مَنْطِقُـهُ والعَدْلُ سيرَتُـهُ فَمَنْ يُجِبـْهُ إِلَيْـهِ يَنْجُ مِنْ تبـَبِ

كان لقصيدة المديح في زمن الفتوحات والبدايات رسالة لابد أن تؤديها، فكان لزاما عليها أن تدافع عن الدّين الجديد، وتمتدح رسالته، وترّد كيد المشركين، ممّا جعلها تتميّز بالارتجال في كثير من

---

(1) الآية [78] من سورة الإسراء.

(2) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص 10.

(3) ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تح: مجيد طراد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 12.

الأحيان، إلى جانب البساطة والعفوية، والانفعال الذي فرضه واقع المجتمع في تلك الفترة، فلم تعد تُفْتَتَح بتلك المقدّمات التي عُرِفَتْ قبلا بل أصبحت :" تتميّز بظاهرة التّخفف من المقدّمات بضروبها جميعا، والتّخفف من الرّحلة باستمرار، فلا يفتتح الإسلامي الجديد مدائحه بالغزل أو الأطلال أو أي لون من ألوان المقدّمات ، ولا يرحل في هذه المدائح فيقطع الصّحراء على ظهر ناقته، أو ينطلق خلف الصّحراء، ولكنَّه يشرع في المدح مباشرة على نحو ما نعرف من تعدّد موضوعات المدح"(1).

ابتعد الشّعراء عن المعاني التي تتنافى وتعاليم الدّين كالقسم بالأوثان ، والفخر بالخمر والعصبيات القبلية، ورسموا بذلك صورة واضحة لشكل القصيدة في صدر الإسلام؛ لكن هذا لم يمنع من وجود قصائد مدحية ابتدأت بمقدّمات غزلية على نحو ما نجد في قصيدة البردة (2) لكعب بن زهير والتي يقول فيها (3) [البسيط]:

بَـانَتْ سُعَـادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتبُـوْلُ مُتيَّمٌ إثْرَهـا لَمْ يُجْـزَ مَكْبُـولُ
ومَـا سُعَـادُ غَدَاةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحوُلُ
كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وإنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ علَـى آلَـةٍ حَدْبَـاءَ مَحْمُـولُ
أُنْبِئْتُ أنَّ رَسُـولَ الله أَوْعَـدَنِي والعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ الله مَأْمُولُ
مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الـ قُـرْآنِ فِيهَـا مَواعِيظُ وتَفْصِيـلُ
لا تَأْخُذَنّي بِأَقْوالِ الوُشَـاةِ ولَمْ أُذْنِبْ وقَدْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيـلُ
إنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَـاءُ بِهِ مُهَنَّـدٌ مِنْ سُيوُفِ اللهِ مَسْلُـولُ

(1) وهب روميّة: قصيدة المدح حتّى نهاية العصر الأموي، منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، (د، ط)، 1987، ص 17.

(2) **البردة**: كساء يلتحف به، بعد هجاء كعب بن زهير للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، أَهْدِرَ دَمُهُ، فجاء إليه تائبا طالبا العفو منشدا في الوقت ذاته قصيدة مطلعها: **بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيّم إثرها لم يفد مكبول** ولما فرغ من إنشادها كساه الرّسول بردته الطّاهرة تكريما له، وتشجيعا للشّعر الإسلامي الملتزم الذي ينافح عن الحق وينصر الإسلام، وعرفت بين النّاس بالبردة وهي لامية تقع في 57 بيتا كما في الدّيوان.(ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي)، دار المعارف، القاهرة، ط20، (د،ت)، ص85).

(3) ديوان كعب بن زهير، قرأه وقدّم له: محمّد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص84.

عدّت قصيدة البردة لكعب بن زهير من أشهر قصائد المديح النّبوي، التي نظمت في هذا العصر، لأنه قدّمها بين يدي الرّسول صلى الله عليه وسلّم، اعتذارا وطلبا للصّفح عمّا بدر منه عقب هجائه أخاه "**بجيرا**" بعد إسلامه، فخلّدت اسم صاحبها في تاريخ الشّعر العربي. كما عدّت المرتكز الذي بنيت عليه القصائد فيما بعد لأنّ :"هذه القصيدة لها الشّرف الرّاسخ، والحكم الذي لم يوجد له ناسخ، أنشدها كعب في مسجد المصطفى بحضرته وحضرة أصحابه، وتوّسل بها فوصل إلى العفو من عقابه فسدّ صلى الله عليه وسلّم خلّته، وخلع عليه حلّته ... فهي حجة الشّعراء فيما سلكوه، وملّاك أمرهم فيما ملكوه ...، ولم تزل الشّعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون بأقوالها تبرّكا بمن أنشدت بين يديه، ونسب مدحها إليه"(1).

وعلى العموم فإنّ ما يلاحظ أنّ هذا الغرض لم يأت مستقلا بل امتزج بالفخر والهجاء والرّثاء، واختلفت هذه القصائد عن سابقاتها من حيث الهدف على الرّغم من تشابهها في الشّكل والعناصر الفنيّة، فالشّاعر لا يمدح بهدف التّكسب ورغبة في التّوسل، وإنمّا يمدح دفاعا عن الدّين الجديد، ونشر الرّسالة التي آمن بها مادحا القيم الجديدة مبتعدا في كلّ ذلك عن الغلو والإسراف.

ظلّ الشّعراء في كلّ عصر يمدحون النّبي المختار، ففي العصر الأموي نجد الفرزدق والشّريف الرّضي الذي ذهب مذهب التّصوف في مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وقد ارتبط ذلك بذكر مناقب أهل البيت من أبناء فاطمة لانتشار التّشيع في هذا العصر، يقول الفرزدق منوّها بآل البيت، ومستعرضا سموّ أخلاق النّبي وفضائله(2) [البسيط] :

هَذَا الذي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ   والبَيْتُ يَعْرِفُهُ والحلُّ والحَرَمُ

اتّسم العصر العباسي بتطوّر هذا الفن وازدهاره، فقد شهد إقبالا كبيرا من طرف الشّعراء، كما نال شهرة واسعة في أوساط العامة والشّعب، وراحت قرائح الشّعراء تنطق بأجود الأشعار مادحين الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وراجين نصرته وشفاعته؛ وللشّاعر " **مهيار الدّيلمي** " قصائد كثيرة تشيد بخلال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

---

(1) المقري التّلمساني، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1988، 318/3.

(2) غازي طليمات، عرفان الأشقر، الشّعر في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، ط1، (د،ت)، ص 336.

عرف القرن السّابع لهجرة نضج فن المديح النّبوي ، واكتماله وبخاصة على يد **البوصيري** صاحب قصيدتي "**الهمزية**"، و"**الكواكب الدّرية في مدح خير البرّية**" المعروفة باسم البردة، درّة ديوان شعر المديح في الإسلام، نالت هذه الأخيرة حظّا وافرا من الشّهرة والاهتمام، ووصل صيتها لمختلف الأقطار الإسلامية، وأجمع النّقاد على أنّها أفضل المدائح النّبوية بعد قصيدة كعب بن زهير ، فكانت مدائحه بحقٍّ مدرسة لشعراء المدائح النّبوية من بعده، ومثالا يحتذيه الشّعراء لينسجوا على منواله، ويسيروا على نهجه، فظهرت قصائد عديدة، أمتعت عقل ووجدان ملايين المسلمين على مرّ العصور و: "نستطيع الجزم بأنّ الجماهير في مختلف الأقطار الإسلامية، لم تحفظ قصيدة مطولة كما حفظت البردة، فقد كانت ولا تزال من الأوراد تقرأ في الصّباح وتقرأ في المساء " [1]، وذلك لأسباب عديدة أهمّها مناسبة نظمها وهي التّشفّع إلى الله وطلب العافية، فساد بين الجماهير اعتقاد بركتها : " حتّى أصبح مجلس من مجالس الأذكار الصّوفية إلاّ كان ترتيل البردة من أهم عناصره"[2]، كما وصفت للتّداوي بها .

يقول البوصيري[3] [البسيط]:

أمِن تذَكّرْ جِيرانَ بِذِي سَلَمٍ مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ دَمِ

أمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ وأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إضَمِ

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَونَيْنِ والثَّقَلَيْـ ـنِ والفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ

هُوَ الحَبِيبِ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ

يمتاز شعره بالرّصانة والجزالة، وجمال التّعبير، والحسّ المرهف، وقوّة العاطفة، وتعدّ مدائحه النّبوية من أبدع ما نظمه الشّعراء في هذا الميدان، ومن أجود ما تفتقت به أذهانهم في بلاد المغرب الإسلامي، فلقد بلغ البوصيري فيه مبلغا عظيما، لكن هذا لا ينفي وجود العديد من الشّعراء الذين أبدعوا قصائد من أمثال: ابن دقيق العيد، والصّرصري، وأبي حسن الجزار، وشهاب الدّين الحلبي، وابن نباتة وغيرهم، ولقد

[1] زكي مبارك، المدائح النّبوية في الأدب العربي، ص25.

[2] محمود على مكي، المدائح النّبوية، الشّركة المصرية العالمية للنّشر، مكتبة لبنان،لبنان، ط1، 1991، ص 112.

[3] ديوان البوصيري، تح: محمّد سعيد الكيلاني، القاهرة، ط 2، 1973، ص6-9.

أتت المدائح النّبوية في هذا العصر لمعارضة تيار المجون واللّهو والانحلال الذي شاع وتفشى في كامل الأوساط ،كما مثّل دعوة للتّمسك بالدّين.

على الرّغم من أنّ المديح النّبوي ظهر في المشرق قبل بلاد المغرب، فإنّ هذا لم يمنع من أن كان نصيبه وافرا فقد تجسّد هيكله، بل إنّ الشّعراء المغاربة كانوا سبّاقين إلى الاحتفال بليلة المولد النّبوي الشّريف، والتي يتمّ إحياؤها دائما بإلقاء الكثير من القصائد في مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، فلا يمكن التّحدث عن المدائح النّبوية دون تسليط الضّوء على هذا الفن في المغرب العربي، فقد برز في هذا الميدان أكثر الشّعراء منذ القديم، وربما كان من أولى قصائد المديح التي أنشأت خالصة للرّسول صلى الله عليه وسلّم، خلال العصر الفاطمي القصيدة المعروفة بالشّقراطيسية نسبة إلى صاحبها : أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الشّقراطيسي[1]، عدّت من أجّل القصائد التي مُدِحَ بها الرّسول صلى الله عليه وسلّم، وحيك في جنابه العالي بردها المعلم، ولهج النّاس بذكرها قديما وحديثا، وردّدها المنشدون في احتفالات المولد النّبوي التي أقيمت إبّان العصر الفاطمي يقول[2][البسيط]:

مَـا سَلِمَ البَدْرُ عَلَى حُسْنِـهِ كَلاَّ، ولَا الظَّبْيُ الذِي يُوصَفُ

البَـدْرُ فِيـهِ كَلِـفٌ ظَـاهِـرٌ والظَّبْـيُ فِيـهِ خَنِـسٌ يُـعْرَفُ

الحَمْدُ لله مِنَّـا بَـاعِثِ الرُّسْـلِ هَدَى بِأَحْمَدَ مَنَّـا أَحْمَدَ السُّبُلِ

خَيْرِ البَرِيَةِ مِنْ بَدْوٍ ومن حَضَرِ وَأَكْرَمِ الخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ

(1) **الشّقراطيسي**: هو الأستاذ الجليل أبو مُحَمَّد علي بن عبد الله بن أبي زكريا ابن يحي بن علي الشّقراطيسي التّوزري، وشقراطس قصر قديم من قصور قفصة، وإنّهم إليه ينتسبون. أديب من أدباء الدّهر. وشاعر من شعراء العصر. ومن شعره قصيدة الشّقراطيسية الشّهيرة المسمّاة باسمه، وهي من أجّل القصائد التي نظمت في مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، توفي سنة (466هـ). (ينظر أحمد البحتري، الجديد في أدب الجريد، نشر الشّركة التّونسية للتّوزيع، تونس، (د، ط)، (د، ت)، ص3).

(2) م.ن، ص 31.

اعتنى الشّعراء بالقصيدة اعتناءً تاما بين مشطّر لها، ومخمّس، ومعشّر، وموشّح، لما تركته من أثر جميل في النّفوس: "فقد أبدع هذا النّاظم فيما نظم، وشرّف بهذه القصيدة بقصده فيها وعظم"[1]. ويصف أبو عبد الله المصري الصّيت الذي وصلت إليه الشّقراطيسية من شهرة :"يَئِسَتْ من معارضتها الأطماع، وانعقد على تفضيلها الإجماع، فطبقت أرجاء الأرض وأشرقت منها في الطّول والعرض"[2].

كما نجد الشّاعر ابن المرحل يمدح الرّسول في قصيدة همزية يقول[3] [الطّويل]:

إِلَ المُصْطَفَى أَهْدَيْتُ غُرَّ ثَنَائِي   فَيَا طِيبَ إِهْدَائِي وَحُسْنَ هِدَائِي

أَزَاهِيرُ رَوْضٍ تَجْتَنِي لِعُطَارَةٍ   وَأَسْلَاكُ دُرٍ تُصْطَفَى لِصَفَاءٍ

إضافة إلى العديد من الشّعراء ممن خلّفوا وراءهم قصائد في المدح النّبوي كالمكودي صاحب قصيدة المقصورة وسميت بهذا الاسم لأنّه قصرها على مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، إلى جانب القاضي عياض الذي خلّف هو الآخر مؤلفات عديدة أبرزها كتاب " **الشّفا بتعريف حقوق المصطفى**"، وقصائد أغلبها في مدح النّبي والتّشوق إلى الدّيار المقدّسة.

والمؤّكد أنّ شعراء المغرب الأوسط (الجزائر) ساروا على النّهج نفسه، ونظموا قصائد عدّة في مدح خير الأنام، خاصة في النّصف الثّاني من القرن السّابع للهجرة، وقد سجّل الغبريني في كتابه " **عنوان الدّراية**" الكثير من القصائد التي حفل بها هذا العصر نذكر في مقدّمتهم محمّد بن الحسن القلعي[4]، الذي يقول في مطلع مدحة نبويّة مصرّحا بمدى شوقه للرّسول صلى الله عليه وسلّم، ورغبته الشّديدة في زيارة

---

[1] أبو العباس سيدي أحمد بن عمّار، نحلة اللّبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب، مطبعة بونتانة، الجزائر، (د،ط)،1903، ص 124.

[2] م.ن، ص 124 .

[3] مُحَّد بن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، ط1، 1982، 1/ 339 .

[4] **محمّد بن حسن القلعي**: هو أبو عبد الله بن الحسن بن علي بن ميمون التّميمي القلعي البجائي، نسبة إلى قلعة بني حمّاد نشأ بالجزائر ثم إنتقل إلى بجاية، وبها قرأ وبرع، إقتبس من علمائها الشّيء الكثير، وأصبح راسخا في العلوم العربية، محكما لفنونها لاسيما الأدب، كان فحلا من فحول الشّعراء مطبوعا دقيق المعاني متين البيت جزيل اللفظ، له العديد من المصنّفات منها: "الموضح في علم النّحو"،"حدق العيون في تنقيح القانون"، توفي رحمه الله ببجاية عام(673هـ)،(ينظر أبو العباس الغبريني، عنوان الدّراية(في من عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية)، تح:عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان،ط2، 1979، ص67).

البقاع المقدسة[1] [الطّويل]:

أَمِنْ أَجْلِ أَنْ بَانُوا فُؤَادُكَ مُغْرَمٌ وقَلْبُكَ خَفَّاقٌ ودَمْعُكَ يَسْجُمُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أنّ جِسْمَكَ مُنْجِدٌ وَقَلبُكَ مَعْ مَنْ سَارَ بِالرَّكْبِ مُتْهِمُ

ومن الذين مدحوا فأطالوا، ووصفوا ففصّلوا نجد الشّاعر الفقيه القاضي **عبد المنعم الغساني**[2] الذي أنشد قائلا[3] [الطّويل]:

لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ وسَيِّدُهُمْ طُرًّا خَبَاهَا لِأُمَّتِهِ
إِلَى يَوِمٍ لاَ يُغْنِي عَنِ المرْءِ مَنْطِقٌ فَصِيحٌ ولاَ يُدْلِي البَلِيغُ بِحُجَّتِه

ولا يمكن أن نغفل الشّاعر القاضي الفقيه: "**ابن العطّار**"[4]، الذي برع في ميدان المدائح النّبوية يقول مادحا الرّسول فهو عنده النّور الذي سطع على الأمّة العربية، وأزال الظّلام الدّامس الذي غشّاها[5] [البسيط]:

أَنْوارُ أَحْمَدَ حُسْنُهَا يتَلأْلأُ المصْطَفَى بِحُلَى الكَمَالِ يُملأُ
الشّمسُ تَخْجَلُ مِنْهُ وَهْوَ أَضْوَأُ النُّورُ مِنْهَا مُقَدَّمُ ومُجَزَّأُ

هاته القصيدة هي من إحدى مدائحه التي جمعها في ديوان سمّاه " **درر الدّرر** "محاولا فيها تبيان خصاله، وصفاته صلى الله عليه وسلّم، ذاكرا محاسنه من خلال استخدام صورة بيانية أضفت على القصيدة فنيّة جمالية فنور الرّسول صلى الله عليه وسلّم، قد غطى نور الشّمس في بزوغه.

(1) م.س، ص70، (ينظر أيضا: محمّد طمّار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 96).
(2) **الغسّاني**: هو الشّيخ الفقيه، القاضي الفاضل، أبو محمّد عبد المنعم بن محمّد بن يوسف ابن عتيق الغساني، من أهل الجزائر كانت له نزاهة ووجاهة ونباهة وديانة وصيانة، وله شعر رائق، وكَتْبٌ أدبي فائق.(ينظر الغبريني، عنوان الدّراية، ص 111).
(3) أبو العباس الغبريني، عنوان الدّراية، ص 112.
(4) **ابن العطّار**: هو أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف، أديب وشاعر من شعراء بجاية في المائة السّابعة، من مؤلفاته: "**نظم الدّر في مدح سيّد البشر**" و" **الورد العذب المعين في مولد سيّد الخلق أجمعين**"، في مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، (ينظر محمّد طمّار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص149) .
(5) م.ن، ص 150.

كما نجده يقول [1] [الوافر]:

أَبَدًا تَشَوُّقُكَ أو تَرُوقُكَ يَثْرَبُ   فَـإِلَى مَتىَ يُقْصِيـكَ المِغْرِبُ

هِيَ جَنَّةُ النَّفْسِ يَعْذُبُ ذِكْرُهَا   والقُرْبُ مِنْهـاَ والتَّدَانِي أَعْذَبُ

شَوْقًا لِمَنْ زَانَ الوُجُودَ، وحُبُّهُ   يُدْنِي إِلىَ رَبِّ الرِّضَى و يَقْرُبُ

يصف الشّاعر شوقه إلى زيارة المدينة المنّورة، ويبين حسرته على عدم البدار بالزّيارة فهو كغيره من المؤمنين متشوّق للتّبرك بقبره ورؤيته، معبّرا في ذات الوقت عن حبّه الكبير والعارم لشخص الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، واصفا إيّاه بصفات لا يملكها غيره.

ما يمكن الخروج به في الأخير أنّ المدائح النّبوية ارتبطت بشخص الرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فكانت في البداية متضمّنة في قصائد الفخر، والهجاء، والنّقائض، لكن سرعان ما استقل هذا الفن وأخذ الشّكل المناسب له، وأصبح غرضا قائما بذاته مع بردة كعب الّتي نقلته نقلة نوعية، وارتقت به فجاءت القصائد من بعدها على منوالها إمّا احتذاءً أو معارضة ، ومنها قصيدة البوصيري وقصائد الشّعراء من بعده، وبخاصة شعراء القرن السّابع أين عرف المديح النّبوي رقيّه، فلم تبق القصائد راكدة بل بحث أصحابها عن التّجديد والتّطور وهو ما نتج عنه، في القرن الثّامن الهجري، انتشار شعر المولديات وشيوعه، إلى جانب انتشار أنواع أخرى سوف نتطرق إليها في القسم الآتي:

[1] م.س، ص 151.

III. المولديات:

1. مفهومها:

يجد المتصفح للمعاجم العربية أن كلّ ما تناولته المولديات كان حول معنى الكلمة واشتقاقها ففي لسان العرب يذكر : "أنّ مَوْلِدَ الرَّجُلِ وَقْتُ وِلاَدِهِ ، ومَوْلِدُهُ الموضع الذي ولد فيه ومِيلاَدُ الرَّجُلِ اسم الوقت الّذي ولد فيه"[1]، "والمؤلِدُ مصدر جمعه مَوَالِدْ بمعنى ، موضع الوِلاَدَةِ أو وقتها"[2].

وجاء في الموسوعة العربية: " مولد النّبي ...احتفال سنوي بذكرى النّبي صلّى الله عليه وسلّم، في الثّاني عشر من شهر ربيع الأول، وهو تقليد قديم يرجع إلى القرن الرّابع للهجرة توسّع فيه الفاطميون كثيرا وأضفوا عليه مظاهر الجلال والعظمة، ثم اتّخذ صورا شتى في مختلف البلاد الإسلامية على مرِّ التّاريخ، من أهم مظاهره قراءة السّيرة النّبوية الشّريفة وحلقات الذّكر " [3]، فالمولدية هي ما يقرأ ليلة المولد الثّاني عشر من شهر ربيع الأول من سيرة نبوية ، وأذكار، وأشعار بأسلوب بديع ترتاح له الأسماع رغبة في الوصال والتّشفع، وهذا ما يؤكّده شوقي ضيف في قوله : "...فالمولديات هي قصائد في المديح النّبوي، ففي بداية الحفل يبدأ المنشدون بأمداح المصطفى، وبمكفرات ترّغب في الإقلاع عن الآثام، يخرجون في ذلك من فن إلى فن، ومن أسلوب إلى أسلوب، ويأتون من ذلك بما تطرب له النّفوس، وترتاح إلى سماعه الآذان "[4].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1956، مادة (و ل د)، 4/ 980، 981.

[2] المنجد في اللّغة والإعلام، دار الشّرق، بيروت، لبنان، ط 25، 1986، ص 918.

[3] الموسوعة العربية الميسّرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 3، 2001، 4 / 2385.

[4] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدّول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السّودان)، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1990، ص 211.

تعدّ المولديات غرضا جديدا في مسيرة الشّعر العربي، ابتدعه أهل المغرب العربي والأندلس في القرن الثّامن للهجرة وتفاعلوا معه، واعتبرت بذلك قصائد مدح وتهنئة أصابها شيء من التّطور، لا تختلف في هيكلها العام عن منهج القصيدة المادحة القديمة وأسسها كما يُعدُّ هذا الاحتفال: "مظهرا أدبيا يعكس ما وصلت إليه بلاد المغرب في تلك الفترة، فكان الاحتفال بالمولد النّبوي منبرا وميدان منافسة شعرية يبرز فيها الأدباء قدراتهم وبراعتهم في قول الشّعر، وذكر خلال وصفات الرّسول الكريم صلّى الّله عليه وسلّم" [1].

ويرجع الفضل في ظهور الاحتفال بالمولد النّبوي إلى الفقيه أبي العباس أحمد العزفي أمير سبتة صاحب كتاب " **الدّر المنظّم في المولد المعظّم**"، وهو ما يؤكده **عبد الله كنون** في قوله :" فقد كان العزفيون رؤساء سبتة، قد أحدثوا فيها الاحتفال بالمولد، ولم يكن ذلك معروفا بالمغرب "[2]، رغبة منهم في الحفاظ على الدّين وإحياءً لذكرى المولد النّبوي كَسُنّة حميدة سرعان ما انتشرت لتعُّم مختلف الأقطار، ولاسيما الجزائر التي عرفت هذه الاحتفالات في عهد بني زيّان مع اعتلاء أبي حمّو موسى الثّاني [3] حكم تلمسان سنة (760هـ) فقد اتّخذ من مظاهر الفخامة، والبذخ للاحتفال بالمولد الشّيء الكثير ما

---

[1] موسى مريان، المولديات في المغرب والأندلس في القرن الثّامن لهجرة، رسالة دكتوراه، 2009 - 2010، ص 11.

[2] محمّد الصّادق عفيفي، مُحَّد بن تاويت، الأدب المغربي، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1969، ص 188.

[3]أبو حمّو موسى بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرّحمن يحي بن يغمراسن، مجدد الدّولة الزّيانية (العبد الوادية)في تلمسان، وثالث ملوكها في دورها الثّاني. ولد في غرناطة بالأندلس عاصمة بني الأحمر سنة(723هـ)، نشأ بتلمسان التي درس بها، وتلّقى على يد علمائها مبادئ العربية والعلوم الدّينية، حكم تلمسان في سنة(760هـ)، انتظمت الدّولة في أيامه واستقرت، وضمن لرعيته الأمن والرّخاء والازدهار، دام حكمه 31سنة، خلّف آثارا تنبئ عن ثقافة عربية لا يستهان بها، وتعطينا فكرة صادقة عن الذّوق الأدبي الّذي كان سائدا بالمغرب الأوسط منها : كتاب **واسطة السّلوك في سياسة الملوك** ألّفه حوالي (765هـ)، وأودع فيه آرائه السّياسية، وضمّنه بعض قصائده الشّعرية، كما يوجد أكثر شعره في كتاب زهر البستان، كتاب نظم الدّر والعقيان، بغية الرّواد،راح الأرواح، كان السّلطان أبو حمّو موسى ذكيا فطنا أديبا يقرض الشّعر ويحّب أهله، له من النّثر الرّائق والشّعر الفائق، ما ارتفعت صنعته من بلاغة الملوك، فساهم في ازدهار النّشاط الأدبي، ونال الشّعراء والأدباء من عطائه وكرمه الشّيء الكثير، إلى جانب كونه بطلا باسلا ذا كرم ومروءة وسياسة ودهاء، ليّن العريكة،كريم الأخلاق(ينظر عبد الحميد حاجيات، أبو حمّو موسى حياته وآثاره، ص71، 72).

جعله يصبح أعظم الأعياد وأهمّها إذ : " كان السّلطان أبو حمّو يقيم بحّق ليلة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، ويحتفل بها بما هو فوق سائر المواسم "(1)، فهو كغيره من ملوك المغرب والأندلس، وتأكيدا على عظمة هذا الاحتفال ما ذكره عبد الله التّنسي في كتابه نظم الدّر والعقيان، أنّ أبا حمّو موسى كان : " يقيم مدعاة يحشر لها الأشراف والسّوقة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة...والمسمع قائم ينشد أمداح سيّد المرسلين، وخاتم النّبيين سيدنا ومولانا محمّد صلّى الله عليه وسلّم ... وعلى هذا الأسلوب تمضي ليلة مولد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، في جميع أيام دولته " (2).

وما من ليلة مولد تمرّ في أيامه إلّا ونظم فيها هذا الحاكم الأديب قصيدا في مدح المصطفى يفتتح بها احتفالات الميلاد، كما يُظْهِرُ حرصه على استمرار هاته السّنة الحميدة مع خلَفه من خلال ما تركه لابنه أبا زيّان من وصايا ينصحه فيها بالاقتداء به، والسّير على طريقه في إحياء هذه اللّيلة المباركة، وممّا قاله:" إنشاء الله تعالى يا بنيَّ عليك بإقامة شعائر الله عزّ وجلّ، وابتهل إليه في مواسم الخير وتوّسل، واتّبع آثارنا في القيام بليلة مولد النّبي صلّى الله عليه وسلّم، واستعدّ لها بما تستطيع من الإنفاق العام، واجعله سنّة مؤكدّة في كل عام، تواسي في تلك اللّيلة الفقراء، وتعطي الشّعراء، وإن ركبت فيك الغريزة الشّعرية، وتحلّيت بالحلية الأدبية، زدت جمالا إلى جمالك وكمالا إلى كمالك، فانظم المولديات ... وهذا يا بنيَّ دأبنا في كل عام، وسنّتنا على الاستمرار والدّوام "(3). هذا تشجيع صريح من السّلطان أبو حمّو موسى على نظم المولديات واستمراريتها.

---

(1) المقري التّلمساني ، نفح الطّيب، 6 /514.

(2) التّنسي مُحَّد بن عبد الله حافظ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدّر والعقيان)، تح: محمود آغا بوعياد، تلمسان عاصمة الثّقافة الإسلامية، الجزائر، (د،ط)، 2011، ص162-164.

(3) أبو حمّو موسى الزّياني، واسطة السّلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدّولة التّونسية،تونس، (د،ط)، 1279، ص 167.

يقول أبو حمّو موسى الثّاني في قصيدة نظمها عام (763هـ)[1][الطّويل]:

قِفَا بَيْنَ أَرْجَاءِ القِبَابِ وبِالْحَيِ وحَيِ دِيــارًا للحَبِيـبِ بِهَــا حَـيِ

وعَرّجْ عَلَىَ نَجْدٍ وسَلْعٍ ورَامَـةٍ وسَائِلْ فَدَتْكَ النَّفْسُ فِي الحَيِّ عَنْ مَيِّ

يُعَذِبُنِي شَوْقِي ويُضْعِفُنِي الهَوَىَ وقَلْبِي عَلَى جَمْرٍ مِنَ الشَّـوْقِ مُحْمِيٌ

كان السّلطان أبو حمّو موسى الثّاني على درجة كبيرة من الثّقافة والعلم والأدب، انعكس ذلك إيجابا على تلمسان التي أصبحت منارة العلم والأدب وقبلة الشّعراء الذين حفل بهم البلاط الزّياني كـ : محمّد بن يوسف الثّغري التّلمساني، أبو زكريا يحي بن خلدون، أبوجمعة التّلاليسي، وغيرهم ممن راحوا ينظمون أجمل المولديات.

(1) أبو زكريا يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، نشر المكتبة الوطنية، الجزائر، ط1، 1980، 2/ 151، (ينظر تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص164).

وممّا قاله ابن خلدون[1] في مولدية كتبها عام(778هـ) [2][الخفيف]:

سَيِّدُ العَـالَمِينَ دُنْيَـا وأُخْرَى وأَشْرَفُ الخَلْقِ فِي العُلاَ والسَّمـاَحِ

صَفْوَةُ الخَلْقِ، أَرْفَعُ الرُّسْلِ خلقا وسِـرَاجُ الهـُدَى، وشَمْسُ الفَلاَحِ

أما الشّاعر أبو جمعة التّلاليسي[3] فأنشد[4] [المتقارب]:

تـوَسَلْتُ بـالـهَاشِمِيّ الذِي بُعِثْـتَ رَسُـولاً فَـأَدَى الرَّسَائِـلَ

نَبِيُّ الهُدَى خَـاتَـمُ الأَنْبِيـاَءِ شَفِيعُ العُصَاةِ، وزَيْنُ المـحَافِلِ

عَظِيمُ الجَلاَلِ، كَثيرُ النَّوَالِ كَرِيـمُ الفِعَـالِ، وبالحَقّ قـاَئِـلِ

ومن الشّعراء المكثرين في هذا الفن شاعر البلاط الزّياني، وأهم شعراء المائة الثّامنة الثّغري التّلمساني، فكان شعره بحق صورة للبيئة الاجتماعية، والأدبية التي امتازت بها تلمسان، عاش

(1) أبو زكريا يحي بن خلدون، صاحب كتاب "بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"،أخو عبد الرّحمن بن خلدون، ولد بتونس، سنة (734هـ)، نشأ بها وتلقى العلوم على يد علمائها، التحق يحي بن خلدون ببلاط أبي حمّو الثّاني حيث عيّن كاتبا للسلطان الزّياني، قتل في رمضان (780هـ)، يعدّ من طبقة الكتّاب البارزين في الدّولة الزّيانية، نظم قصائد عديدة في مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بمناسبة المولد الشّريف، ومدح السلطان أبو حمّو موسى تشهد بملكة شعرية صادقة ورّقة ونباهة (ينظر بغية الرواد، 118/2).

(2) يحي بن خلدون، بغية الرّواد، 2/ 119. المقري التّلمساني، نفح الطيب، 6/ 510.

(3) هو أبو عبد الله محمّد بن أبي جمعة بن علي التّلاليسي، اشتغل بالطّب حتّى برع فيه، ونما صيته إلى السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني، فقرّبه إليه واتخذه طبيبا لنفسه، وعلاوة على حذقه في الطّب كان التّلاليسي متميّزا في العربية والأدب، أتى بالشّعر الجيد؛ تشهد له بطول الباع في قرضه القصائد الرّائعة التي قالها في كلّ المناسبات التي وقعت بقصر السّلطان، بأنّه كان شاعرا بارزا من شعراء بلاطه(ينظر بغية الرّواد، 2/174-176،محمّد طمّار، تاريخ الأدب الجزائري، ص189،188).

(4)يحي بن خلدون، بغية الرّواد، 1/ 119.

الثّغري[(1)] في ظلالها ناظما العديد من القصائد الطّوال بمناسبة الاحتفال بليلة المولد النّبوي، وكان يلقيها بنفسه يقول [(2)] [الطّويل]:

أَجَلُّ بُدُورِ الرُّسْلِ نُـورًا وبَهْجَـةً   وأَجْمَلُ خَلْقٍ رِيءَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَا

وأَصْدَقُ مَنْ فِي عَالِمِ الكَوْنِ لَهْجَةً   وأَكْرَمُهُمْ فِعْلاً، وأَشْرَفُهُمْ ذِكْرَا

كانت البيئة التّلمسانية تكتظّ بالعلماء والأدباء والشّعراء ك: عبد المؤمن بن يوسف المديوني، مُحَمَّد صالح الشّقروني، ابن ميمون السّنوسي، ورغم شيوع المولديات وانتشارها، إلّا أنّ المدائح النّبوية كانت ولا تزال تنظم بجوارها، واشتهر بالنّظم فيها في القرن الثّامن للهجرة أكثر من شاعر نذكر منهم : عبد الله البسكري الذي يقول[(3)] [الكامل]:

دَارُ الحَبِيبِ أَحَقُّ أن تَهْواهَـا   وتَحِنُّ مِنْ طَرَبٍ إلى ذِكْرَاهَـا

وعلى الجُفُونِ متى هَمَمْتُ بزورة   يابن الكِرَامِ عليك أن تَغْشَاهَا

[(1)] هو العالم الجليل الكاتب البارع والشّاعر المفلق أبو عبد الله مُحَمَّد بن يوسف القيسي الثّغري التّلمساني، من الشّخصيات التي اشتهرت في (ق8هـ) بتلمسان، وأهم شعرائها لعهد أبي حمّو موسى الثّاني،اشتهر بنظمه للمولديات، وكان من أشهر شعرائها وبلغائها المبرزين، والمقدمين لدي سلاطينها ملوكها في تلك الفترة. (ينظر وابن مريم التّلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص222،223،عبد الرّحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، ط4، 1980، 2/ 216،217).

[(2)] ديوان الثّغري التّلمساني، تح: نوار بوحلاسة، منشورات مخبر الدّراسات التّراثية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، (د،ط)، 2004، ص 72.

[(3)] أبو القاسم مُحَمَّد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف، مؤسسة الرّسالة العتيقة،ط1، 1982، 2/ 240.

2. علاقة المولديات بالفنون الأخرى:

ترتبط المولديات بعلاقة وثيقة مع عدّة فنون فجاءت كنتيجة حتمية لتطوّرها وظهورها كالتّصوف والمديح النّبوي أو تأثرت بها وواكبتها كالبديعيات .

أ. المديح النّبوي :

شغف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بسيرة رسولهم صلّى الله عليه وسلّم، فراحوا يمدحونه ويتغّنون بمحبّته ومناقبه، ما جعل العديد من الشّعراء ينظمون قصائد عدّة في هذا المجال، وقبيل ظهور فن المولديات في المغرب شاع كما ذكرنا سابقا فن المديح النّبوي، وازدهر في القرن(7هـ) يذكر الغبريني قصيدة للشّاطبي[(1)] يقول فيها[(2)] [الوافر]:

جَعَلْتُ كِتَابَ رَبِي لي بِضَاعَةً فَكَيْفَ أَخَافُ فَقْرًا أو إِضَاعَةً

وأعْدَدْتُ القَرَاءَةَ رَأْسَ مَـالِي وهَـلْ شَيْءٌ أَعَزُّ مِنَ القَرَاءَـة

ويكمن وجه الشّبه بين الفنين في المضمون ففي كليهما:

- إشادة بفضائل النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وسرد لمعجزاته .

-التّشوّق لزيارة قبره وطلب الشّفاعة .

أمّا الاختلاف بينهما ف: " يظهر في ارتباط المولدية بذكرى المولد، والإشادة بتلك اللّيلة المباركة، وغالبا ما يتحول الشّاعر في المولدية إلى مدح السّلطان والدّعوة له بدوام ملكه واستمرار عزّه "[(3)]، فالمولديات قصائد تنظم لإنشادها ليلة المولد النّبوي، وعلى العكس من ذلك فالمدائح ينظمها أصحابها

---

(1) **الشّاطبي**: هو أبو عبد الله مُحَّد بن صالح بن أحمد من أهل شاطبة بالأندلس، رحل إلى بجاية، وكان من قضاتها وخطبائها، ت(699هـ)، (ينظر أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية، ص104).

(2) أبو العباس الغبريني، عنوان الدّراية، ص 104.

(3) م.ن، ص 100 .

سائر العام ولا تقصر على مناسبة معينة، إضافة إلى أنّ هذه الأخيرة تنظم لشخص الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، فحسب بينما المولدية ينتقل فيها الشّاعر من مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، إلى مدح السّلطان الذي له الفضل في إحياء الليلة .

ب- البديعيات:

عرف القرن السّابع للهجرة عديد ا من الألوان الشّعرية منها ما استمّد اسمه من المناسبة كالمولديات، ومنها ما استمدّ اسمه من شكله اللّغوي أو البلاغي كالبديعيات حيث :" اتجّه بعض الشّعراء ابتداء من القرن السّابع لهجر ة إلى نظم فنون البديع في قصائد عرفت فيما بعد باسم البديعيات "[1]، ونجد من الشّعراء الأوائل الذين نظموا في هذا الفن الشّاعر صفّي الدّين الحلي (750هـ)، كتب بديعية في مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، سمّاها "الكافية البديعية في المدائح النّبوية" على غرار بردة البوصيري وزنا وقافية جاء مطلعها[2] [البسيط]:

إن جِئْتَ سَلْعًا فَسَلْ عَنْ جِيرَةِ العِلْمِ وَاقِرْ السَّلاَمَ عَلَى عُرْبٍ بِذِى سَلَمِ

تضّمنت هذه البديعية مائة وخمسة وأربعين بيتا، وسار على نحوه ابن جابر الأندلسي، فكان هذا الفن تعبيرا عن نزعة دينية تدور حول السّيرة النّبوية، ومدح الرّسول الكريم حيث : " سار كثير من شعراء العصر على أثر البردة، فاحتذاها وعارضها جماعة من الشّعراء، وتناول معانيها وأسلوبها جملة ممّن اهتموا بالمديح، من بعده صفي الدّين الحلي، ابن جابر الأندلسي، الضّرير، وابن حجة الحموي، لكن صفي الدّين الحلي ومن تبعه انتهجوا نهجا جديدا في مدائحهم، إذ طرّزوها بالبديع، فجعلوها مديحا ومتنا في علم البديع معا "[3]. وبهذا ظهرت البديعيات كفن جديد له معالمه وخصائصه : " فالبديعية قصيدة

---

(1) عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النّهضة، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص317.

(2) م.ن، ص 318.

(3) محمّد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د، ط)، (د،ت)، 1/ 328.

تحوي كلّ الفنون التي أدرجت تحت علم البديع، وهي في الوقت ذاته في المديح، وبخاصّة مدح الرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم"[1].

البديعيات هي فن متفرّع من هذه الشّجرة الوارفة شجرة المدائح النّبوية، وهو فن يوظّف المديح النّبوي لخدمة علم من علوم العربية، هو علم البديع فهي: " مجموعة من القصائد، ظهرت في القرن الثّامن لهجرة واستمرّت حتّى القرن الرّابع عشر هجري، غرضها المديح النّبوي، وغايتها جمع أنواع البديع ضمن أبياتها، نوع في كل البيت، يصّب ذلك كله في قالب من البحر البسيط، وروي الميم المكسورة، هذا القالب الذي اشتهر من خلال البوصيري "[2]، وهي قصائد ميمية اتّسمت بالطّول نُظمت في مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وجاءت على البحر البسيط على شاكلة البردة للبوصيري، فالشّيء الذي تشترك فيه البديعيات والمولديات، هو الموضوع المتعلّق بمدح الرّسول ، وذكر صفاته وسرد معجزاته، أمّا الفرق بينهما فيكمن في الشّكل، حيث تلتزم البديعيات بالخصائص السّالفة الذّكر، فيما لا تلتزم المولديات بتلك الشّروط.

(1) منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د، ط)، 1986، ص 22.

(2) علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي، (نشأتها، تطوّرها، أثرها)، عالم الكتب، دمشق، ط1، 1983، ص 6.

ج- التّصوف:

التّصوف ظاهرة دينية فريدة لتربية المسلمين فردية ذوقية وجدانية، تمّس القلب والرّوح قبل الجوارح والأعضاء، وهو أيضا :" عزوف النّفس عن ملذات الدّنيا، والعكوف على العبادة والتّفرغ لها، والانقطاع إلى الله عزّ وجلّ، والامتناع عن زخرف الدّنيا، والزّهد فيما يقبل عليه النّاس من لذّة ومتاع "(1).

ظهر التّصوف بنوعيه السّني والفلسفي في المغرب العربي: " فساد النّوع الأول في القرنين الهجريين الثّالث والرّابع، فيما ساد التّصوف الفلسفي القرنين السّادس والسّابع الهجري " (2)، وذلك بسبب هجرة كثير من المتصوّفة الأندلسيين نحو المغرب العربي فاستقرّ بعضهم ببجاية وتلمسان، وساهموا في ازدهار الشّعر الدّيني و:"نقلوا إلينا أحاسيسهم الدّينية وزهدهم في قصائد، وأضافوا من خلالها إلى الشّعر أغراضا دينية الطّابع، مثل الزّهد والمدائح والتّوسلات، الابتهالات والتّصوف "(3).

كما يؤّكد العديد من الباحثين على دور المتصوّفة في إحياء الاحتفالات بذكرى المولد النّبوي، والاهتمام بالشّعر الدّيني ، ومنه الشّعر الصّوفي وشعر المديح النّبوي والمولديات، وذلك " أن النّاس قد انصرفوا إلى التّصوف فظهر أثره قويا في الأدب العربي خصوصا في تلك المدائح ثم المولديات " (4)، فالمدائح النّبوية باب كبير من أبواب الشّعر الصّوفي. كانت بحق نتاج التّصوف الذي شاع في كامل البلاد المغربية من خلال قصائدهم، وما حملته من أغراض .

ازدهر غرض المديح النّبوي ثمّ المولديات بفعل انتشار التّصوف، وهذا ما أشار إليه محمّد طمّار في قوله: " والمدائح من أغراض التّصوف، والفعال المحمّدية، فقد سجّل لنا التّاريخ عددا منها "(5). ولا شك أنّ للمتصوّفة دورا كبيرا في بعث المولد النّبوي وإحيائه من خلال اهتمامهم بمولد الرّسول والاحتفال به

---

(1) عبد الرّحمن بن خلدون، المقدمة، تح: ابن عبد الرحمن عادل بن سعد، الدّار الذّهبية، القاهرة،2006، ص 521 .

(2) الطّاهر بونال، التّصوف في الجزائر خلال القرن السّابع والثّامن الهجريين، عين مليلة، الجزائر، (د،ط)،2004، ص 44.

(3) م.ن، ص 44 .

(4) محمد الصّادق عفيفي، محمد بن تاويت، الأدب المغربي، ص 188.

(5) محمد طمّار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 155.

فالنّاظر في " تقاليد الصّوفية يراهم أدخلوا المولد في صميم الحياة الدّينية، إذ جعلوه عنصرا أصيلا في الحفلات الشّعبية "[1].

(1) زكي مبارك، المدائح النّبوية في الأدب العربي، ص 30.

3. بنـــاء المولدية :

واكب شعراء المغرب العربي احتفالات المولد النّبوي الشّريف، وتفاعلوا معها، من خلال ما أبدعوه من قصائد، فاعتبر بذلك غرضا جديدا ميّز الاحتفالات في المغرب الإسلامي عن باقي الأقطار العربية والإسلامية وعدّت الاحتفالات: " منبرا وميدان منافسة شعرية، يبرز فيها الأدباء قدراتهم، وبراعتهم في قول الشّعر، وللتّعبير أيضا عن وفائهم وولائهم المحكم للسُّلطان، أو للظفر بمنصب، أو الفوز بجائزة "[1]. هذه التّكريمات والجوائز كانت سببا في إجادة الشّعراء لقصائدهم، وعاملا مهمّا لظهور شعر المناسبات وازدهار شعر المولديات بالخصوص.

يرتبط بناء القصيدة في الشّعر العربي بتقاليد فنيّة معينة استقرت ملامحها ورسومها منذ العصر الجاهلي، وتوارثها الشّعراء على مرّ العصور، وسعوا إلى تحقيقها في أشعارهم حتّى استحالت هذه التّقاليد الفنيّة إطارا جماليا مرجعيا يحصر فيه الشّعراء أنفسهم، تمخّض عنه فيما بعد شكل القصيدة التّقليدية بأصولها وقواعدها : "وكأنّما العصر الجاهلي نفسه هو الذي أعدّ للقصيدة العربية عند العرب؛ قصيدة المدح والهجاء، فإنّ الشّعراء كانوا يحرصون في كثير من مطولاتهم منذ العصر الجاهلي على أسلوب موروث فيها...واستقرت تلك الطّريقة التّقليدية في الشّعر العربي، وثبّتت أصولها في مطولاته الكبرى على مرّ العصور"[2].

لم تتبدّد هذه التّقاليد الفنيّة بتغير البيئة الزّمانية والمكانية، بل ظلّت تفرض نفسها في عصور الأدب المختلفة، ونجد من يتعلّق بها ويرى فيها مثالا عليا يجب أن يحتذى وينسج على منواله؛ وتجسّدت البنية الشّكلية للقصيدة العربية عند الشّعراء الجاهليين في: مقدمة، عرض، خاتمة، لم يخرج فيها الشّعراء على مرِّ العصور عن شكل القصائد الجاهلية، ما جعل بناء القصيدة العربية يحظى باهتمام النّقاد وتركيزهم،

---

(1) موسى مريان، المولديات في المغرب والأندلس في القرن الثّامن للهجرة، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر،2009، ص20.
(2) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشّعر العربي، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)،1978، ص 18.

فكادت القصيدة الجاهلية أن " تكون المقياس الوحيد والأنموذج الأمثل الذي اتخذه النّقاد واتّبعوه في كلامهم عن القصيدة وبنائها ".[(1)]

وممّا لاشك فيه أنّ ترتيب أقسام القصيدة، وتناسق أبياتها، وحسن جوار الأبيات مع بعضها، وملائمة ألفاظها لمعانيها، يعدّ مقياسا لجودة الشّعر، وتمكّن الشّاعر لأنّ بناء القصيدة "بناء علائقي يقوم على العلاقات بين العناصر كلٌّ منهما حاكم للآخر ومحكوم به "[(2)]، فالعلاقات التي تحكم البناء الفني للقصيدة، يراد بها العلاقات على المستويات المختلفة في بناء الهيكل واللّغة والصّورة، والأفكار والموضوع، فهذه المكونات كلُّها تدخل في بنية القصيدة لتشكّل بناءً حيّا متكاملا معبّرا عن تجربة الشّاعر .

وحسب النّقاد القصائد نوعان منها "بسيطة الأغراض ومنها مركبة، والبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحا صِرْفا أو رثاء صِرفا، والمركّبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومديح"[(3)]. وإذا تأمّلنا بناء القصيدة المولدية في القرن الثّامن لهجرة نجد أنّها قصائد مركبة اتّسمت بتعدّد الأغراض والمواضيع، والسّبب وراء هذا التّعدد هو معارضة القصائد الأصلية كقصائد البوصيري، وقصائد ابن الفارض، وقصيدة كعب بن زهير؛ دفعت هذه المعارضات الشّعراء إلى انتهاج البناء نفسه، والسّير على نفس الإيقاع، والرّوي، والقافية، واستخدام نفس الألفاظ والأغراض الشّعرية.

---

(1) يوسف حسين بكّار، بناء القصيدة في النّقد العربي القديم في ضوء النّقد الحديث، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص28.

(2) مُحَمَّد حسن عبد الله، الصّورة والبناء الشّعري، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص179.

(3) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: مُحَمَّد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1986، ص 309.

قامت قصائد المولديات كغيرها من القصائد على عناصر أساسية: المقدّمة بأنواعها، الغرض الأساس، الغرض الثّانوي، والخاتمة، ولقد كان جلّ الشّعراء المغاربة في هذا القرن يستفتحون القصيدة النّبوية بمقدّمة تنوّعت حسب الغرض والمناسبة، غالبا ما كانت مقدّمة غزلية صوفية يتشوّقون فيها إلى رؤية الشّفيع، والأماكن المقدّسة، ومزارات الحرم النّبوي، وبعد ذلك يصف الشّعراء المطيّة ورحال المواكب الذّاهبة لزيارة مقام النّبيّ الزّكي، وينتقل الشّعراء بعد ذلك إلى وصف الأماكن المقدّسة، ثمّ مدح النّبيّ ﷺ مع عرضهم لذنوبهم الكثيرة وسيئاتهم العديدة، طالبين من الحبيب الكريم الشّفاعة يوم القيامة لتنتهي القصيدة النّبويّة بالدّعاء والتّصلية، هاته الأقسام سنتعرض لها بالتّفصيل بداية بـــ:

1- مقدمة:

تعتبر المقدّمة عنصرا أصيلا في الشّعر العربي توارثها الشّعراء المغاربة منذ العصر الجاهلي، كما مثّلت قسما أساسا من أقسام القصيدة، ما جعل النّقاد ينشغلون بها لما لمطلع القصيد من أهمّية ومكانة ، فهي كالغرّة في جبين الفرس، ويؤكّد ابن رشيق هذه الأهمّية بقوله: "فإنّ الشّعر قفل أوّله مفتاحه وينبغي للشّاعر أن يجوِّدَ فيه، فإنّه أوّل ما يقرع السّمع وبه يستدّل على ما عنده من أوّل وهلة "[(1)]، ولهذا حافظ الشّعراء عبر العصور المتلاحقة على منهج القصيدة المتعارف عليه، وقلّما دخل شاعر لموضوعه دون مطلع، فالمطلع يجب أن يكون أوّل ما يُنْظَمُ في القصيدة إيذانا بفتح بابها المغلق.

مثّل مطلع القصيد القسم الخاص بالشّاعر، لأنّ المقدّمة ذات طابع عاطفي وجداني، تتناول عواطف وأحاسيس إنسانية مشتركة (كالحبّ واللّين)، أو مواضيع خاصّة بأهل المغرب كالشّوق إلى زيارة البقاع المقدّسة، فهذا المطلع "يكاد يكون ضروريا عند الكثير من الشّعراء الزّيانيين، وبخاصّة في مدائحهم النّبوية، وأشعارهم المولدية، حيث جعلوا من القصيدة وحدة متكاملة ولو كثرت أبياتها واتّسعت معانيها"[(2)]، ولم يقتصر شعراء المديح النّبوي في المغرب الأوسط على مقدمة واحدة، بل تنوّعت المقدِّمات وتعدّدت باختلاف مضامينها، ومعانيها، وأغراضها نذكر منها :

[(1)] ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، تح:صلاح الدّين الهواري، دار الهلال، بيروت ط1، 1996، 1/ 209.

[(2)] نوّار بوحلاسة، الشّعر الزّياني (633هـ، 962هـ)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم، جامعة قسنطينة، 1989، ص272 .

أ. المقدّمة الطّللية(النّسيبية):

تعدّ المقدّمة الطّللية من أكثر مقدّمات القصائد المدحية شيوعا، والمعروف أنّ: " المقدمة الطّللية ظاهرة فنيّة استهوت الشّعراء منذ القدم، واتّخذوها قالبا فنيا يستوعب الكثير من مشاعرهم ومعانيهم "[1]، وكان هدف الشّاعر من افتتاح قصيدته بالوقوف على الأطلال وبكائها، هو " أن يجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ليُمِيلَ نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأنّ التّشبيب قريب من النّفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله فيه تركيب العباد من محبَّة الغزل، وإِلْفِ النِّساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلّقاً منه بسبب، وضارباً فيه بسَهْمٍ حلال أو حرام" [2].

الطّلل ضرب من الطّقوس يعبّر عن الفكر الجماعي لا عن الذّات الفردية، فهي في القصائد تعبِّر عن الانتماء، وقد ارتبط الطّلل بالأماكن المقدّسة، وآثار الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، لذا كان الشّاعر يذكر في مقدِّمته الطّللية موطن الأحبَّة، وبقايا الدّيار، والدِّمن والآثار؛ والغاية من كلِّ هذا التّأثير في المستمعين.

لم يجد شعراء المغرب الأوسط كغيرهم من الشّعراء الأوائل في أنفسهم غضاضة أن يتناولوا تجاربهم العاطفية، والحديث عن المرأة وجمالها، والحبِّ وأحواله، والصَّبِّ ومعاناته، في قالب صوفي صرف مختارين في ذلك موضوعات تليق بالذّكرى وصاحبها، وبجوّ الاحتفال الذي يتميّز بالرّوحانية والجدية والهيبة .

كما يمكن اعتبار المقدمة النّسيبية دليلا على فطنة الشّاعر العربي وحذقه، والغاية من الابتداء بالنّسيب هي: "تمليح الكلام، وتحسينه، لأنّ طباعهم تميل للعشق والتّغزل "[3]، وممّا يدخل

---

[1] أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تح :عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت)، ص 136.

[2] ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء، تح:أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1982،1/ 75.

[3] ابن هشام الأنصاري، شرح قصيدة بانت سعاد، وبهامشه حاشية الإسعاد للإمام الشيخ الباجوري، ملتزم الطّبع والنّشر، عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة، ط1، (د، ت)، ص8.

في النّسيب :" التّشوّق والتّذكر لمعاهد الأحبّة بالرّياح الهّابة، والبروق اللاّمعة، والحمائم الهاتفة، والخيالات الطّائفة، وآثار الدّيار العافية، وأشخاص الأطلال الدّائرة "[1]. وقد راعى شعراء المغرب في مقدّماتهم الطّللية والنّسيبية جلالة الذّكرى، وعظمة صاحبها فسموا بموضوعاتها ومعانيها، واتّسمت المقدِّمة التي نحت منحى الغزل بالحشمة والوقار، والتّسامي بالصّفات الحسيّة للجمال، فجرّدت للمعاني الصّوفية، تعظيما لصاحب المناسبة؛ ولما لهذه المناسبة من قدر في نفوس المسلمين، إذ :"إنّ الغزل الذي يُصَدَّرُ به المديح النَّبوي، يتعّين على النّاظم فيه أن يحتشمّ ويتأدّب، ويتضاءل، ويتشبّب مطرباً بذكر سَلْع، ورامة، وسفح العقيق، والعُذيب، والغوير، ولَعْلَعْ، وأكناف حاجر، ويطرح منه ذكر محاسن المرّد، والتّغزل في ثقل الرّدف، ودّقة الخصر، وبياض السّاق، وحمرة الخّد، وخضرة العذار، وما أشبه ذلك وقَلَّ منْ يسلك هذا الطريق من أهل الأدب "[2]، لابدّ للشّاعر من الاحتشام لأنّ مقام القصيدة يتطلّب ذلك، فكان الشّاعر في تغزّله أقرب إلى الصّوفية منه إلى الغزل الحقيقي؛ ولذلك نجد الشّعراء قرنوا المقدّمة الغزلية بروح التّديّن، فسارت في طريق الغزل العفيف الذي ساد أوساط الشّعراء هناك .

ومن النّماذج الشّعرية الدّالة على توظيف الشّعراء في المغرب الأوسط، في القرن الثّامن لهجرة المقدمة الطّللية قول أبي حمّو موسى الزّياني[3] [الطّويل]:

قِفَـا خَبِّـرَانِي عَنْ رُسُـومٍ نَـوَاهِـجِ　　وعَنْ معلمـات طَيِّبَـاتِ الأرائِـجِ

وعَنْ أَرْضِ نَجْدٍ والعُذَيْـبِ وبـارقٍ　　ولا تُخْبِـرَانِي عن ذَوَاتِ الدّمَـالِـجِ

وُجُوبَـا الفيـافِي والمَهَـامَـهَ، واسْتَعِـنْ　　على قَطْعِ أَسْبَابِ النَّوَى بِاللَّوَاعِجِ

وعُوجَا بِوادِي الطَّلْحِ مِنْ أرضِ رَامَةٍ　　وزُفَّـا الهـوادى عنـد رَمْلَـةِ عَـالِـجِ

---

[1] علي بيهي، قضايا في أدب الجاهلية، مطبعة المعارف الجديدة، الرّباط، المغرب ،ط1، 2006، ص37.

[2] تقي الدّين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي، خزانة العرب وغاية الإرب وبهامشها رسائل أبي الفضل أحمد الهمذاني، (د،ط)، (د،ت)، ص14 .

[3] عبد الحميد حاجيات، أبو حمّو موسى الزّياني حياته وآثاره، الشّركة الوطنية للنّشر، الجزائر،(د،ط)، 1974، ص 375.

وقُلْ لِسُلَيْمَى لَسْتُ أَسْلُو بِحُبِّهـا وأنَّ طَرِيـقَ الغَيِّ لَسْتُ بِنَـاهِـجِ

وإنْ بَـرَقَـتْ مِنْ أرْضِ نَجْدٍ بـوارِقٌ تَـذَكَّرْنَـا عَـهْـد الهَـوَى والهَـوَادِجِ

فَصَرِّحْ بِأَذْكَـارِ العَقِيقِ وحَـاجِرٍ لأنَّ بِهَـا يُشْفى غَليـلُ اللَّواعِـجِ

افتتح الشّاعر قصيدته بالوقوف على الأطلال والدّيار، وهو وقوف تقليدي ينظر إلى ديار الأحبّة التي أقفرت من السّكان، ويبكي أيّام أنسه، ويشكو ألم الفراق، ويذكر أنه مازال وفيا لعهده القديم، كما يتحدّث عن شوقه وحنينه للمكان وأهله، وقد ذكر "**نجد**"بغية إضفاء نوع من الواقعية على أشعاره، وذكر اسم المحبوبة "**سليمى**"، والتّصغير هنا يدُّل على شِّدة حبّه وشوقه، وما يعانيه من ألم الفراق؛ وغالبا ما ترد أسماء لنساء تردّد في الشّعر العربي مثل: زينب، وليلي، وسعدى، ودعد، وغيرها، وهي أسماء ليس لها وجود في واقع حياة الشّاعر، ووجودها في القصيدة من أجل استثمار ما بهذه الأسماء من طاقة إيحائية للتّعبير عن حبّهم للنّبي والأماكن المقدّسة .

كما نجد الثّغري التّلمساني في مطلع مولديته يقول متغزّلا[1] [الكامل]:

ذكَرَ الحِمَى فتَضَاعفَتْ أشْجَانُه شَوقًا، وضَاقَ بِسِرِّهِ كِتْمَانُـهُ

دَنَفٌ تذكَّـر مِنْ عُهُودِ وِدَادِهِ مَالَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِهِ نسيانُهُ

يَهْفُـو لِبَرْقِ الأبـرقين تَـعَلُّلاَ والقَلْبُ منه دَائِمٌ خَفقَانُـهُ

ويصل إلى ذكر الأطلال والدّمن :

أتُرَى أَرَى وَادِي العَقِيقِ ورَامَةِ ويلُوحُ لِي رَنْدُ الحجَـازِ وبَانُـهُ

وأُعَايِنُ الحَرَمَ الشّريفَ فَتَنْجَلِي عَنْ قَلْبِ صَبٍّ مُدْنَفٍ أَشْجَانُهُ

---

(1) الثّغري التّلمساني، الدّيوان، ص 148.

وأَطُوفُ بِالبَيْتِ العَتِيقِ ويَعْتَلِ   بِي لاسْلَامِ الرُّكْنِ شَاذٍ رُوَانُـهُ

عبّر الشّعراء من خلال المقدّمات الغزلية عن فرط شوقهم وإحساسهم بمضض البّين؛ ومقاساتهم لبين الحبيب، والتّحسر على تلك الأيام. وهذا ما تجلّى في قول أبو زكريا يحي ابن خلدون بمناسبة احتفال السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني بمولد خير الأنام محمّد صلى الله عليه وسلّم عام(778هـ)(1) [الخفيف]:

مَا عَلَى الصَّبِّ في الهوَى من جُنَاحٍ   أَنْ يُـرَى حِلْفَ عَبْرَةٍ وافْتِضَاحِ

وإذا مَـا المحِبُّ عيِـل اصْطِبـاراً   كَيْفَ يُصغِي إلى نَصِيحَةِ لاحِ

كَمْ أَدَرْنَـا كَأسَ الهَوى فِيـهِ مَزْجَـا   رُبَّ جِـدٍّ من الجَوَى فِي المِـزَاحِ

هَـلْ إِلَى رَسْمِـه المُحِيـلِ سَبيـلُ   يَـا حُدَاةَ المَطِيِّ تِلْكَ الطَّلَاحِ

فَاسْأَلُوا البَرْقَ عَنْ خَفُوقِ فؤَادِي   والصِّبا عَنْ سَقَامِ جِسْمِي المتَاحِ

يَـا أهَيْـلَ الحِمَى، نِـدَاءٌ مُشَـوِّقِ   مَـالَـهُ فِي هَوَى الدُّمى مِنْ بَرَاحِ

يصف الشّاعر في هذه الأبيات حال المحبّ، وكيف أضناه الشّوق فيتذّكر ديار الأحبّة، ويعاني آثار الهجر والنّوى، ممّا يعطي لها بعدا دينيا مرتبطا بالشّوق إلى مرابع المصطفى .

(1) المقري التّلمساني، نفح الطّيب، 510/6، محمّد طمّار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 152.

ب.مقدمة الشّيب وعتاب النّفس:

وهي من المقدّمات التي يتّخذ فيها الشّاعر من الشّيب نذيرا يحذّره من التّمادي في الضّلالة والغيّ، ويحثّه على الإقلاع عن الآثام ويدعوه إلى إتّباع سبل الرّشاد، والنّدم على اقتراف الزّلات، والاغترار بالدّنيا وزخرفها، وتضييع الواجبات الدّينية، وقرب الرّحيل، وقلّة الزّاد؛ واعتبرت هذه المقدمة بمثابة متنفسا للشّاعر ليعبِّر عن كوامن نفسه، ويعدّد ما كان من خطاياه في شبابه، ويظهر ندمه على ذلك، ويخلُص في آخر المقدّمة إلى تقديم النّصح، وضرورة محاسبة النّفس والتّزود بخير زاد ليوم الحساب، وهذا ما سنراه في معظم النّماذج الشّعرية المتناولة فبكاء الشّباب، والنّدم على انصرام أيامه موضوع تطرّق إليه الشّعراء كثيرا ولا سيما في المغرب الأوسط .

ومن الشّعراء الّذين عبروا عن المعاني المذكورة نجد أبو حمّو موسى الثّاني يقول[1][الطّويل]:

قَدْ اصْفَرَّ لَوْنِي بَعْدَ حُسْنِ شَبِيبَتِي   كَمَا ابْيَضَّ رَأْسِي بَعْدَمَا كَانَ مُسْوَدًا
وقَدْ مَرَّ عُمْرِي فِي عَسَى ولَعَلَّمَا   تُواصِلُنِي لُبْنيَ، وتَهجُرُنِي سُعْدَى
وسُرِّي بِيَ الدُّنْيَا بِزَوْرِ غُرُورِهَا   فَكَمْ نَقَضْتَ عَهْدًا،وكَمْ نَثَرْتَ عِقْداً
وهذا نَذِيرُ الشّيْبِ لاَحَ بِمَفْرِقِي   يُذَكِّرني خَوْفاً، ويُنْجِزُ لِي وَعْدَا
هَوْيتُ مِنَ الدُّنيا زَخَارِفَهَا الّتِي   بِفَرْطِ هَوَاهَا لا أُطِيقُ لهَا رَدًّا
لقد حُقَّ لِي أَبْكِي عَلَى فَرْطِ زلّي   وأسْكُبُ دَمْعاً كالعَقِيقِ عَلاَ الخَدَّا
أُعاَتِبُ نَفْسِي فِي زَمَانِ بِطَالَتِي   وقَلْبِي على كَسْب المآثِمِ قَدْ جَدَّا

(1) أبو حمو موسى الزّياني، واسطة السّلوك في سياسة الملوك، ص172. (ينظر أيضا عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، حياته وآثاره، ص 381).

وجَيْشُ شَبَابِي قَدْ مَضَى بِسَبِيلِهِ وجَيْشُ مَشِيبِي قَدْ تَقَدَّمَ لي وَفْدَا

يتحسّر أبو حمّو موسى في هذه الأبيات على أيام شبابه التي انقضت في اللّهو، وهو في غفلة إلى أن أتاه نذير الشّيب، فتذكّر ما كان منه في ارتكاب الآثام، واتّقدت نفسه حسرة وألما على ما فاته، وليس بمقدوره إعادته، كما عبّر عن تضاؤل احتمالية قضاء مآربه الدّينية، بعد مجيء الشّيب وحلوله ضيفا في الرّأس، وشعوره بدنوّ الأجل والنّدم على ما فرّط المرء في جنب الله، وهو اليوم يعاتب نفسه ويندم على أفعاله السّابقة.

لقد كره النّاس الشّيب وأنكروه "لما فيه من دليل الفناء، والهُجْنَة عند النّساء، وقطع الملّذات بالرّقبة والحياء"[1]، كما ذمّه أغلب الأدباء شعرا ونثرا، ومن الشّعراء أيضا نجد الثّغري التّلمساني يقول [2] [البسيط]:

أَقْصِرْ فَإِنَّ نَذِيرَ الشّيْبِ وافَانِي وأنْكَرَتْنِي الغَوانِي بَعْدَ عِرْفَانِ

وقَدْ تَمَادَيْتُ فِي غَيٍّ بِلاَ رَشَدٍ والنَّفْسُ تَأْمُرُنِي والشّيْبُ يَنْهَانِي

فَقُلْتُ للنَّفْسِ إذْ طَالَتْ بَطالَتُهَا: مَهْلاً أَلَمْ يأنِ أَنْ تَخْشَى أَلَمْ يَأنِ ؟

فَلاَ تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا فَيَا نَدَامَةَ مَنْ يَغْتَرُّ بِالفَانِي

فَلَيْسَ فِيهَا وِصَالُ دُونَ هِجْرَانِ ولَيْسَ فِيهَا كَمَالٌ دون نُقْصَانِ

يصف الثّغري حاله بعد المشيب، وكيف أنكرته الفتيات بعد معرفته في السّابق، كما يُظهر أسفه وندمه على زلّاته وخطاياه، والّتي ما نهاه عنها إلاّ المشيب، ثم يقدّم نصحه بأنّ التّقوى هي السّبيل إلى الخلاص.

---

(1) فيروز الموسى، قصيدة المديح الأندلسية، الهيئة العامة السّورية للكتاب، وزارة الثّقافة، ط1، 2009، ص15.

(2) ديوان الثّغري التّلمساني، ص 153 .

أما التّلاليسي فنجده متحسّرا على انصرام شبابه، واشتعال رأسه شيبا يقول[1] [مخلّع البسيط]:

أصْبَحَ رَأْسِي مِنَ الشّوائِبِ شَائِبُ وهْو من الجَانِبَيْنِ شَائِبِ

يـاَ لـهْفَ نَفْسِي عَلَى زَمَانٍ كُنْتُ لِثَوْبِ الشَّبابِ سَاحِبِ

أَرْفُلُ في حُلَّةِ التَّصَابِي بيْنَ حَبِيبٍ، وبيْنَ صَاحِ

حتىَّ بَدَا الشَّيْبُ في قَذَالِي بـادَرْتُـهُ بِالسَّوَادِ خَاضِب

وقد مَضَى مَعْهَدُ التَّصَابِي وأَقْبَلَ الشَّيْبُ في الكَتَائِبِ

واحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ واعْتَرانِي مَاذَادَ عَنْ وَصْلِي الكَواعِبِ

فقلتُ: يا نَفْسُ، لَيْسَ إلاّ أَنْ تَنْظُرِي الآنَ فِي العَوَاقِبِ

ولتَسْتَعِدّي لـهَوْلِ يَوْمٍ تَشِيبُ مِن بَعْضِهِ الذَّوَائِبِ

قدّم شعراء المولديات في هذا النّوع من المقدمات صورة عمّا يعانيه الشّاعر من حسرة وندم، بعد أن أتاه نذير الشّيب، فأصبح نادما على ما فرّط في شبابه، وتحسّر على أيامه التي قضاها في اللّهو، وهو غافل إلى أن أصبح اليوم يحسّ بأنّ عمره انقضى دون أن يصنع لنفسه شيئا، أو يتزوّد للقاء ربّه، فهو اليوم نديم الدّنيا، وينبّه إلى عدم الاعتزاز بها وبزخرفها، معلنا زهده وتوبته في الأخير راجيا المغفرة من الله تعالى، ويتوّسل له برسوله الكريم آملا شفاعته في الوقت ذاته .

[1] محمّد بن عمرو الطّمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1984، ص 160.

ج. **مقدّمة الرّحلة :**

شكّلت مقدّمة الرّحلة تقليدا تأسّس منذ القرن السّادس للهجرة، وحققت نضجها وانتشارها الواسع مع شعراء القرن السّابع أمثال مالك ابن المرحل وغيره، كما احتضنت القصيدة المولدية في القرن الثّامن لهجرة هذا النّوع من المقدمات، وعُدّت من المقدِّمات المعروفة في الشّعر العربي، وفيها : " يذكر الشّاعر ما قطع من المفاوز...وما تجشّم من هول اللّيل وسهره، وقلة الماء وغؤوره، ثم يخرج إلى مدح المقصود "[1].

يبدأ الشّاعر في المولدية بذكر البقاع المقدّسة لأنّها مقصد المتشوّقين، وانطلاقة الرّكب ومناجاته، وإظهار النّدم، والحسرة لتخلّفه عن الرّحلة، فالشّاعر لا يتحدّث عن رحلة ذاتية قام بها، بل يتحدّث عن خلّانه الذين رحلوا وتركوه يصارع النّدم لعجزه عن الرّحيل مثلهم إلى مرابع النّبي صلّى الله عليه وسلّم، على نحو ما يقول أبو حمّو موسى في مطلع مولدية [2][البسيط]:

سَارَ الأَحِبَّة نحو الرَّقْمتين ضُحىَ وخَلَّفُونِي رَهيـنَ القَلْبِ مُكْتَئِباَ

سَارُوا على البُزْلِ والحَادِي يجد بهم والقَلْبُ مِنيِّ إلى أَرْضِ الحِجَازِ صَباَ

هذى الأَحِبّة قَدْ شَدُّوا مَطِيَهُمُ وأسْرَعُوا بِقِبَابِ الحَيِّ نحو قِبَا

ولا رضِيتُ لنَفْسِي غَيْرَهُم بَـدَلَا ولا وَجَدْتُ لِقَلْبِي دُونهمْ طَلَبَا

ولا سَلَوْتُ، ولا أَسْلُو لِبُعْدِهِمْ إنَّ السّلوّ عن المهْجُورِ قَدْ حَجَبَا

زمُّوا إلى زَمْزَمَ، والقَلبُ يَتبعهُمْ والصَّبْرُ بعدهم عيٍّ لقد عَزَبَا

وخَلَّفُونِي بِغرّبٍ مُغْرَماً بهم أَشْكُو لهُمْ، وبهم منْ عِبْرَتِي عَجَبَا

---

[1] ابن رشيق، العمدة، ص 136.

[2] يحي بن خلدون، بغية الرواد، 365/2، 366، (ينظر عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسي حياته وآثاره، ص371).

فَقُلْتُ: يا حَادِياً، والرَّكْبُ يَسْمَعُنِي رِفْقًا على الصّبِّ يا حَادِيهُمُ فَأبَى

يا حَادِيَ العيسِ، قِفْ باللهِ تُخْبِرُنِي بيني وبينهُمْ عَهْدًا تـرَى قَرُبَا

في كلِّ عامٍ يسيرُ الرّكْبُ مُرْتَحِلاً وقد تقيدْتُ عنْ فَرْضِي الّذي وجبَا

لولا الخِلافَةُ شَدَّتْنِي قَلَائِدُهَا لم أَقْتَنِعْ بِخَيالٍ، أو بِرِيحِ صِبَا

يصرّح أبو حمّو موسى عن ندمه وشوقه، لزيارة البقاع المقدسة في الوقت الذي سار فيه الخلان ليحجّوا إليها، فيبلِّغ عن طريق هم أشواقه ويصف حاله بعد أن شدّو رحالهم، فلولا مقاليد الحكم والتزاماته لسار مع الرّكب ولم يتخلّف.

بدت مقدِّمة القصيدة المولدية عملا فنيّا متقنا، يستمّد فنيته من جهد الشّاعر الإبداعي، حيث أعطاها الشّعراء رعاية كبيرة؛ لما لها من قيمة فنيّة مؤثرة، تسترعي عناية المتلقي وتشدّ انتباهه، وهم بذلك يدركون أنّه: "إذا كان الابتداء حسنا بديعا ومليحا رشيقا كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام "[1]، تشكّلت مقدِّمة القصيدة المولدية من واحدة أو أكثر من لوحات الطَّلل، والنَّسيب، والشَّيب وغيرها، كما شكّلت منفذا تعبيريا للنّفس من خلال الولوج إلى لبِّ القصيدة والغرض الرّئيس.

---

[1] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: مُحَّد البجاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، (د،ت)، ص 455.

2- المديح النّبوي(الغرض الرّئيس) :

يتمثّل في مدح الشّعراء النّبي الكريم محمّدا، ويُعدُّ هذا القسم واسطة العقد في قصائدهم. يقول الثّغري مخاطبا السُّلطان الزّياني أبا تاشفين الثّاني في نهاية إحدى مولدياته مشبّها قصيدته بالرّوض العَطِرِ الرّائق، والعقد النّفيس الرّائع، ذاكرا أنّ رسول الله يمثل الجوهرة الوسطى في ذلك العقد(1) [الطّويل]:

ودُونـكَ روضًـا من ثَنَاكَ عَـاطراً	فمـا لِثَنَـاكَ العَـاطِرِ النّدِّ من نِـدِّ
فَمِنْكَ أَجدْنَا القَوْلَ فِيكَ إِجَادَةً	ومَـا طَـابَ مَـاءُ الوَرْدِ إلاَّ من الوِرْدِ
ولا غُرو أنْ حَيَّتْكَ بِالطِّيبِ رَوضَة	تَجُودُ لها بـالصِّيبِ الطَّيِّبِ العَهْـدِ
ومـا هِيَ إلاَّ العِقْدُ مِنّي نَـظْمُـهُ	ومِنْ وصفِكُمْ مَا فِيهِ مِنْ جَوهَرٍ فَرْدِ
جَواهِـرُ عِقْدٍ من نَسِيبٍ ومِدْحَـةٍ	ومَـدْحُ رَسُـولِ الله وَاسِطَـةُ الـعِقْـدِ
عَلَيْـهِ سَلاَمُ الله مَـا رَبَتِ الرُّبى	وما صَافَحَتْ رِيحُ الصِّبَا قَضُبَ الرَّنْدِ

فشاعر المولديات لا يمدح إنسانا معاصرا له، ذا سلطان وجاه أو مال شكرا على نعمة، أو ملقا، أو رغبة وطمعا، وإنّما يمدح من هو أجّل من ذلك وأرفع؛ إنّه يمدح الرّسول محمّدا صلّى الله عليه وسلّم سيدّ ولد آدم ، الذي اصطفاه الله سبحانه وتعالى، واختاره من بين خلقه؛ ليكون آخر رسله إلى النّاس كافة.

ولأنّ الشّعراء أصحاب المولديات لم يشهدوا عصر النّبوة، ولم يعاصروا الرّسول الكريم، لذلك نراهم يمتحون فضائله من القرآن الكريم، ومن كتب السّيرة النّبوية العطرة، مازجين ذلك بما في نفوسهم من محبَّة وتجلَّة وتوقير. وإذا تأمّلنا القصيدة المولدّية في القرن الثّامن لهجرة، فإنّنا نجد أنّ الموضوع الأساس الذي

(1) الثّغري التّلمسانيّ، الدّيوان، ص61.

أنشأت من أجله قصيدة المديح النّبوي هو مدح النّبي محمّد صلوات الله عليه وسلامه، وشعراء المولديات في المغرب الأوسط في هذه الفترة ركّزوا في بناء قصائدهم على هذا الموضوع .

وممّا قاله أبو حمّو موسى مادحا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم[1] [الطّويل]:

نبيٌّ كريمٌ، جاءَ بالرُّشدِ والهدى إلى كُلِّ قَلْبٍ في الضَّلالَةِ مارِجِ

جَلَا بالهُدَى والرُّشْد كُلَّ ضلالةٍ ومَحَّى بدِينِ الله دِينَ الخوارجِ

به انْهَدَّ إيوانٌ لِكِسْرَى وأُخْمِدَتْ لِفَارِسَ تِلْكَ النَّارُ ذَاتُ الوَهَائجِ

وأُشْرِقَتِ الأنْوَارُ من نُورِ أحمدٍ فَمِنْهُ اسْتَفَادَ الكَوْنُ كُلَّ المباهجِ

يمتدح الشّاعر في هذه الأبيات النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ويذكر أنّ بمجيئه انجلى ليل الضَّلالة، وعمَّ الكون نور الهدى والرّشد، وارتج إيوان كسرى، وانطفأت نيران فارس.

وآثرنا ألا نتوسّع كثيرا في هذا الجزء لأنه سيكون محّل دراسة في الفصل الثّاني.

[1] أبو حمّو موسى الزّياني، واسطة السّلوك في سياسة الملوك، ص172.

3- الخاتمة :

أولى شعراء المولديات نهايات قصائدهم مزيدَ عناية وكَبيرَ اهتمام؛ لمنزلتها في البناء الشّعري؛ ولما لها من قيمة فنيّة عالية فيها يكتمل الجانب الجمالي والمعنوي للقصيدة، وقد نبَّه القدماء على ضرورة الاهتمام بحسن الختام، وسبيل ذلك "أن يكون محكماً، لا تمكن الزّيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه"[1]؛ لأنّه: " منقطع الكلام وخاتمته، فالإساءة فيه معفّية على كثير من تأثير الإحسان المتقدّم عليه في النَّفس"[2]. فهي قاعدة القصيدة وآخر ما يبقي منها في الأسماع، وهي عندهم بأهمية المطلع، لذا وجب أن تكون قفلا كما كان المطلع مفتاحا.

وفي سبيل ذلك هيّأ الشّعراء أذهان المتلقين لاستقبال نهاية القصيدة بأساليب متعددة، فمنهم من جعل خاتمة قصيدته هديّة للممدوح ومن ثم الدّعاء له، ومنهم من ختم قصيدته بالصّلاة على النّبي الكريم والدّعاء للسّلطان، ومنهم من جعل خاتمة قصيدته الدّعاء الخالص للسّلطان الذي أحيا ليلة الميلاد، وذلك اعتراف من الشّاعر بفضل هذا السّلطان في الاحتفاء بهذه المناسبة الكريمة؛ فهو صاحب الحفل ومن تُرْفَعُ إليه القصائد التي نُظِمَتْ، ولهذا كان لابدّ من أن يكون له نصيب من المدح في القصيدة المولدية.

ويدخل ضمن المديح السّياسي الذي يُعدُّ الرّكيزة الثّانية التي تقوم عليها القصيدة المولدية بعد المديح النّبوي، مدح السّلطان الذي أحيا تلك اللّيلة، ويأتي المديح السّياسي بعد المديح النبوي مباشرة، وقلّما نجد شاعراً قدّم المديح السّياسي على المديح النّبوي؛ تعظيما للمناسبة، وتكريما للرّسول، وتعبيرا عن منزلته في النّفوس عند العامة والخاصة. فكان يأتي في خاتمة القصيدة.

---

[1] ابن رشيق، العمدة، 1/ 239.

[2] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 285.

أشاد شعراء البلاط الزّياني بمكانة السّلطان، وما تميّز به من كرم وعدل، ورأفة، وتسامح، وصدق... وغيرها من الصّفات الحميدة. وممّن مدحوا فأجادوا نجد الثّغري التّلمسانيّ الذي نوّه بفضل أبي حمّو موسى الثّاني وأبرز مكانته العليّة قائلا [1] [البسيط]:

مَـولايَ إن نَـدَعُ الأمْـلَاكَ مَعْلُـوَةً بِشُبْهَـةٍ فَمَعَـالِيكُمْ بِبُرْهَـانِ

فَلَوْ رَأَى مَنْ مَضَى مَا شدت مِنْ كَرَمٍ لَمْ يَمْدَحِ المتنبي آلَ حَمْدَانِ

إِلَيْكُمَا كَلِمَاتٍ لَوْ بِهَا سَمِعَتْ أَوْلَادُ جَفْنَةَ قَالُوا :شِعْرُ حَسَّانِ

مَا مِثْلُ عَبْدِكَ فِي مُدَّاحِ مَجْدِكَ مِنْ مَثْنَى، ولا لَكَ فِي الأَمْلَاكِ مِنْ ثَانِ

فَدَامَ سَعْدُكَ يَا مَولَايَ مُقْتَبِلًا مُجَدَّداً كُلَّمَا عَادَ الجَدِيدَانِ

ارتفع الشّاعر في هذه الأبيات بممدوحه إلى أعلى الدّرجات جاعلا إياه في قمّة الكرم والسّخاء، لدرجة أنّه لو رآه المتنبي لم يمدح آل حمدان، ثم يعترف بعجزه وتقصيره في مدح السّلطان ليختتم بالدّعاء له بالسّعادة قائلا[2][البسيط]:

مَوْلَايَ حَزّتْ مَعَانِي المجْدِ الَّذي مَا حَازَ غَيْرُكَ مِنْهُ غَيرُ أَسَامِي

فَلْتَسْلَمَ أَمِيرُ المسْلِمِينَ مُؤَيدًا فِي غبْطَةٍ مَوصُولَةِ الدَّوامِ

دَامَ عُلاكَ فَلَيْسَ مِثْلكَ في العُلَا سَامٍ ولا لَكَ في المُلُوكِ مَسَامِ

إلى أن يقول[3]:

خَتَمْتَ بِذِكْرِ المصْطَفى فكأنَّما نفحاتُ مسكٍ عند فَضِ خِتَامِ

---

[1] الثّغري التّلمساني، الدّيوان، ص 153.

[2] م.ن، ص 53.

[3] م.ن، ص 54.

صَلَى عليهِ من اصطفَـاهُ كـرَامةً أزْكَى صـلاةٍ شُـفعَتْ بِسَـلَامِ

كما نجد زكريا بن خلدون يمدح السّلطان أبو حمّو موسى(1) [الطّويـل]:

شَرِيفُ ملوكِ الأرضِ فرعاً ومحتدَا وأكْمَلُهُمْ في الجِنْسِ والفَضْلِ والكَسْب

هو القُطْبُ والأمْلَاكُ شُهُبُ سمائِهِ وهَلْ دارتِ الشُّهبان إلاّ على القُطْبِ؟

جمع الشّاعر في خاتمة القصيدة بين مدح السّلطان والدّعاء له والصّلاة والسَّلام على النَّبي صلّى الله عليه وسلّم.

كان الشّعراء يختمون قصائدهم بخاتمة تتلائم مع موضوع القصيدة ومناسبتها ، وبما ينسجم مع مقدّمتها ومضموها، حتى تبدوا القصيدة مسبوكة سبكا محكما، متينة التّرابط بين أجزائها؛ لتظهر فيها القدرة الكبيرة والجهد الإبداعي عند الشّعراء، في إعطاء القصيدة المولدية قيمة فنيّة بنائية وجمالية خاصة، مع ما تتضّمنه القصيدة من معانٍ مؤثرة بذاها.

وقد تنبّه النّقاد منذ وقت مبكر إلى ضرورة العناية بمقدّمة القصيدة وهايتها، حيث أنّ: " الابتداء أوّل ما يقع في السّمع ، والمقطع آخر ما يبقى في النَّفس من قولك، فينبغي أن يكونا جميعا مونقين "(2)، كما تعدّ آخر ما يطرق السّمع لذلك، اهتمّ الشّعراء وحرصوا على تجويدها، ويشترط أن يكون المقطع مناسبا لغرض القصيدة لذا وجب: "أن يكون الاختتام في كلّ غرض بما يناسبه، سارًّا في المديح والتّهاني وحزينا في الرّثاء والتّعازي"(3). وهذا ما حرص الشّعراء على تطبيقه.

(1) مُحَمَّد بن عمرو الطَّمّار، تلمسان عبر العصور، ص 192.
(2) حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 308.
(3) م.ن، ص 306.

الفصــل الثّــاني

دراســة موضـوعية فنيّــة

يأخذ المديح النّبوي في القصيدة المولدية مساحة نصيّة واسعة، يكاد يكون أكبر مساحة فيها، حيث يشكّل المديح النّبوي العنصر الرئيسي في شعر المولديات، والذي تتمحور حوله الأفكار والمضامين الأخرى، فقد أوتي الرّسول الكريم من المناقب والفضائل مالم يكن لغيره من الخلق بمن فيهم الرّسل والأنبياء، كما بدا بصورة تتمثل فيها طبيعة بشرية، وسمات ملحميّة.

يعدّ المديح النّبوي من أرفع الموضوعات الإنسانية ذات الاتّصال المكين في النّفس البشرية، فكما عبر الشّعراء في مولدياتهم عن حبّهم وهيامهم في شخص الرّسول الكريم، وبذلوا غاية جهدهم في سبيل إظهار هذا الحبّ، الذي يعدّ سمة عامة يشترك فيها المسلمون على تباين نزعاتهم، وتعدّد مذاهبهم، ففي"مولد النّبي ترى المجدّدين والمقلّدين، والصّوفية والسّلفية والعلماء والعامّة ، يلتقون جميعا على بقعة واحدة،وقد يكون بين نزعاتهم تنوّع واسع، ولكنّهم جميعا وحدة متآلفة في إخلاصهم وحبّهم لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم"[1]، وقد جعل الشّعراء للرّسول مكانة فريدة، ومنزلة رفيعة بين سائر الخلق؛ وبذلك فإنّ جمال القصيدة المولدية يتجلّى في القيم السّامية التي يعبّر عنها، فضلا عن الإبداع الفني في بنية القصيدة نفسها.

استقرت معاني المديح النّبوي في شعر المولديات، وترسّخت لدى المجيدين من شعرائه، بحيث نجدهم يتحدّثون عن المعجزات النّبوية بكلّ أشكالها، والحقيقة المحمّدية، وشفاعة الرّسول يوم القيامة، وشمائله، وصفاته المعنوية، ومنزلته بين الأنبياء، فقد بدت شخصية الرّسول في صورة رجل دنيا ودين.

تغنّى الشّعراء بمولد الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، وجعلوه نقطة تحوّل في تاريخ البشرية، ونورا صدع شمل الظّلام البهيمي، وأخرج النّاس من الشّرك إلى الإيمان، ومن عبادة الأوثان والخوف منهم إلى عبادة ربّ العباد، والأمن في جنابه، وعبّروا عن مدى عجز أداتهم الفنيّة عن الوصول إلى مستوى ما ينبغي أن يمدح الرّسول به، بالقياس مع ما أنزل الله تعالى من مديح نبيّه.

---

[1] غازي شيب، فن المديح النّبوي في العصر المملوكي، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت، لبنان،ط1، 1982،ص38.

تفاوتت معاني المديح النّبوي كثرة وتفصيلا في شعر المولديات، وإن لم تخل منها قصيدة من هذا الشّعر، فهي الغاية التي سعى الشّعراء للتّعبير عنها والوقوف عليها، وتعدّدت مسالك نهلهم لتخليد هذه الشّخصية فمنها ما هو مستوحى ممّا ورد في القرآن الكريم، فهو الينبوع الصّافي الذي صدر عنه الشّعراء، وشكّل سجلا فذّا ومنبعا حسنا لهم؛ فقد كان له أثر وثيق في ترسيخ صورة الرّسول الكريم في ذهن المسلم، ظلّت تتردّد مع تعاقب الأجيال، ومنها ما استوحى من السّيرة النّبوية العطرة، وكتب دلائل النّبوة، وقصص الموالد في النّظر إلى فضائل رسول الله لا تتصل بحياته الدّنيوية ومنزلته الرّفيعة عند الله يوم القيامة، وفضلها لعظيم في نجاة الخلق فقط، وإنّما تمتد إلى مرحلة ما قبل مولده، فقد جسّد الرّسول الكريم في سيرته أبلغ المثل العليا وأروعها.

فضّل الشّعراء الرّسول الكريم على غيره من الأنبياء وسائر الخلق، فاستدعوا القيم الأخلاقية التي عُرِفَتْ عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وممّا ذكره شعراء المولديات في المغرب الأوسط ، ونوهوا به، مركزين فيه على نقاط أساسية وهامة يمكن استخلاصها كموضوعات الغرض الرئيس في هاته القصائد من مدح الرّسول وتعداد مناقبه، الحقيقة المحمّدية، ذكر معجزاته صلّى الله عليه وسلّم الإشادة بليلة مولده صلى الله عليه وسلّم، التّوسل والشّفاعة.وهذا ما سنتناوله بالدّراسة مسلّطين الضّوء على جلّ المواضيع الموجودة في مولديات شعراء بني زيان خلال القرن الثّامن لهجرة مع دراستها دراسة فنيّة في ذات الوقت دون الفصل بين الشّكل والمضمون.

الدّراسة الموضوعية الفنيّة:

من أهم المواضيع التي تطرق إليها الشّعراء وتناولوها بإسهاب مدح الرّسول وتعداد مناقبه، والمتأمل لمعاني المدح يجد أنّها تعلّقت به حتى من قبل مولده أي من يوم خلقه.

1. مدح الرّسول صلى الله عليه وسلّم وتعداد مناقبه :

- **الحقيقة المحمّدية:**

تُعدُّ الحقيقة المحمّدية ركنا رئيسا من أركان بنية القصيدة المولدية، وعنصرا مهمّا من عناصر المديح النّبوي، فقد تفاعل الشّعراء مع هذه الحقيقة وانجذبوا إلى المعنى الذي لمحوه فيها، واستوحوا منه الكثير، فقد نظروا للنّبيّ نظرة مقدّسة، وجعلوه نورا من الله عزّ وجلّ ومخلوقا قبل بدء الخلق، ومن مادة مختلفة عن مادة خلق البشر، فهو أزلي الرّوح والوجود، إيمانا راسخا في عقيدتهم، دون أن تكون أثرا من أحد، أو تقليدا لدين، أو إتباعا لمعتقد آخر.

تناول الشّعراء في مدائحهم النّبوية الحديث عن الحقيقة المحمّدية التي تقول : "أنّ محمّدا ليس بشرا كبقية النّاس، ولكّنه جزء من الذّات الإلهية، كان قبل خلق آدم يسبّح في عالم الملكوت، فلّما خلق آدم من الطّين حلّت فيه تلك الحقيقة المحمّدية، وظلت تلك الحقيقة تنتقل من نبيّ إلى نبيّ إلى أن ظهرت في خاتم النّبيين محمّد "(1)،كما أنّ الحقيقة المحمّدية من مرتكزات الفكر الصّوفي الرّئيسية، بل هي الأساس الذي يقوم عليه ذلك الفكر في مشاربه واتّجاهاته المختلفة، وانعكس ذلك على الشّعر الصّوفي، وتأثّر بذلك الشّعراء من بعدهم .

(1) على إبراهيم كردي، الشّعر العربي بالمغرب في عهد الموحدين موضوعاته ومعانيه، دار الكتاب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2010، ص130.

ولعلّ السّبب في التّركيز على الحقيقة المحمّدية في قصيدة المولد النّبوي يأتي من باب فخر المسلمين بها، وبمعجزاتها على أصحاب الدّيانات الأخرى، للتّعبير عن أنّ محمّدا هو الأصل الذي ينتسب إليه الكون، وأنّ كلّ ما في هذا الكون من مظاهر بشرية وطبيعية مستمدّ من النّور المحمّدي، كما يشير إلى أنّ الله اصطفى محمّدا لحمل رسالته قبل بدء نشأة الكون، وخلق أبي البشر آدم، وأنّ الأفلاك تستمدّ نورها من نوره فهذا: " النّور هو حقيقة الرّسالة، وسرّ القرآن، والرّحمة المنزّلة، وهو الغاية في الدّنيا، وسرّ الإيجاد، ومقتضى الإرادة العلية، ومعنى الكون، ومميز الشّهادة من الغيب "[1]، لهذا ذكر الشّعراء فضائله وعدّدوها حتّى من قبل ولادته وبينوا علامات النّبوة التي ظهرت .

أ. تقدّم خلق رّسول الله ونبوته وتأخر بعثه:

المتصفح لكتب السّيرة النّبوية، وكتب دلائل النّبوة يجد أنّ الرّسول الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلّم، كان أوّل مَنْ خُلِقَ مِنَ الأنبياء والرّسل وآخرهم ولادة وبعثا.

فعن الحسن عن أبي هريرة ﷺ، قال:"قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في قوله تعالى: "وإذ أخذنا من النّبين ميثَاقَهُمْ" [2]، قال: كنت أوّلَ النّبيّين في الخلق وآخرهم في البعث "[3]. خلق الله تعالى روح سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم قبل أن يخلق سيّدنا آدم عليه السّلام، وأنّها كانت روحا نورانية يُروى عن ابن عبّاس: " أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم كانت روحه نورا بين يدي الله تعالى، قبل أن يخلق آدم بألفي عام، يسبّح ذلك النّور، وتسبّح الملائكة بتسبيحه، فلمّا خلق الله آدم ألقى ذلك

---

(1) جميل حمداوي، شعر المديح النّبوي في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت،ط1، 2007، ص4.

(2) الآية[7] من سورة الأحزاب.

(3) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، السّيرة النّبوية، تح:مصطفى عبد الواحد، دار إحياء التّراث العربي، لبنان، بيروت، ط1، (د،ت)، 1/ 288،289.

النّور في صلبه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:"فأهبطني الله إلى الأرض في صُلب آدم، وجعلني في صُلب نوحٍ، وقذف بي في صلب إبراهيم، ثمّ لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطّاهرة حتّى أخرجني من أبويّ لم يلتقيا على سفاح[1] قط"[2].

فالرّسول الكريم ولحكمة من ربه تقدّم خلقه ونبوّته وتأخّر بعثه، كما خلق روحه من نور ونقّى نسبه من خلقه حتّى ولادته، كما أنّه علّة خلق آدم، وعلّة خلق العنصر البشري من بعده.

لقد أشار الشّعراء في قصائدهم إلى تلك المزايا والفضائل ال تي خصّ الله بها سيّدنا محمّدا معلنين اطلاعهم على القرآن الكريم والسّير النّبوية، مؤكدين حقيقة الرّسول الأزلية النّورانية حتّى لكأنّه مبدأ الوجود، ومبدأ النّبيين وخاتمهم وفي هذا يقول الثّغري التّلمساني في قصيدة نظمها بمناسبة مولد خير الأنام عام(760هـ)[3] [الكامل]:

مَنْ لِي بِزَوْرَةِ رَوْضَةِ الهَادِي الذِي ... رَحِمَ الوُجُودَ بِبَعْثِهِ رُحْمَانُهُ

المصْطَفَى، خَيْرُ البَرِيَةِ كُلِّهَا ... وأَجَلُّهَا قَدْرًا، تَعَاظَمَ شَأْنُهُ

هُو خَاتِمُ الرُّسْلِ، المكِينُ مَكَانُهُ ... هُو المقَدَّمُ، والأَخِيرُ زَمَانُـه

هُو الذي سَدَّ النُّبُوَّةَ والهُدَى ... شَرَفٌ حَوَاهُ فُؤادُه ولِسَانُـهُ

عُنْوَانُ طِرْسِ الأَنْبِيَاءِ خِتَامُـهُ ... والطِّرْسُ[4] يُكْمِلُ حُسْنَهُ عنوانُه

لَوْلَاهُ مَا وُجِدَ الوُجُودُ: سمَاؤُهُ ... أَوْ أَرْضُهُ، أو إِنْسُهُ، أو جَانُه

---

(1) **السّفاح**: الزّنى، والزّواج بغير سنّة ولا كتاب.

(2) القاضي عياض، كتاب الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، مراجعة هيثم الطّعيمي ونجيب ماجدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2003، ص66- 120.

(3) الثّغري التّلمساني، الدّيوان، ص149.

(4) **الطّرس**: بالكسر الصّحيفة، أو الكتاب.

فَجَمِيعُ مَا فِي الكَوْنِ كَانَ لأجلِه شرَفُ الوجودِ بَانَ فِيهِ كَيَانُـهُ

فَـالـدَّهرُ أفقُ أحمدُ إصبَـاحُـه والخَلقُ جَفْنُ أحمدُ إنْسَـانُـهُ

يمدح الشّاعر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ، متمنيا زيارة الرّوضة وقبره، مبينا شوقه وتلهفه لرؤيته، شاكرا الله عزّ وجلّ على رحمته لعباده ببعثه صلّى الله عليه وسلّم ، ليخرجهم من الظّلمات والشّرك إلى الهدى، فذكر فضائله وعدّد صفاته مفتخرا به في الوقت ذاته، فهو خير البرية وأرفعها قدرا ومنزلة، خاتم الأنبياء، وإمام ملائكة السّماء، من وجبت له النّبوة نبيّ الهدى الذي ختم به الرّسالة ربه، من خصّه الله بمكانة لم يختصّ بها قبله من الأنبياء والرّسل؛ كما أنّ الشّاعر يذكر في هذه الأبيات كيفية خلقه صلّى الله عليه وسلّم، وأنّ الله عزّ وجل خلقه أولا قبل كلّ المخلوقات، ولكن أخّر بعثه صلّى الله عليه وسلّم، مقرّا بأنّه السّببُ في وجود البشر من بعده مستخدما فيها الأضداد، فبالأضداد تتّضح المعاني (المقدّم / الأخير، سماؤه /أرضه، انسه/جانه) وهو طباق الإيجاب استخدمه ليقوي به المعنى، ويعطي للفظ جرسا موسيقيا يلفت به الأسماع، كما تحدث في هذا المقطع عن عظمة الرّسالة التي جاء بها النّبي الكريم لكافة البشر، فكان خير من أرسل للنّاس.

بالعودة للإيقاع نجد الشّعراء قد اعتمدوا البحور الطّويلة الجادة والشّائعة عند العرب منذ القديم فـ"أكثر أشعار العرب من الطّويل والبسيط والكامل "[(1)]، لتناسبها مع الأغراض الجليلة المهمّة كالتّصوف الرّوحاني والمديح النّبوي، فنجده يؤثر البحور الطّويلة التي تعبّر عن النّفس الطّويل لصاحبها وتستوعب تجربته الشّعرية، ومنها الكامل وافر الحركات "سمي كاملا لاكتمال حركاته، حيث تزيد عن ثلاثين حركة، ولا يوجد بحر في عدد حركاته "[(2)]،ولعلّ كثرة الحركات ساعدت الشّاعر على سرد، وعرض صفات الممدوح وأعماله،كما أنّ حرص الثّغري على تكرار الموضوعات نفسها أي "التّجربة الشّعرية" انجرّ عنه

---

(1) عبد المنعم خفاجي، عروض الشّعر العربي، مكتبة القاهرة،مصر، ط1، (د،ت)، ص148.

(2) الخطيب التّبريزي، الوافي في العروض والقوافي، تح:الحسّاني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1994، ص58.

تكرار للإطار الموسيقي الذي يستوعبها . يتميّز البحر الكامل بقدرة تقنية عالية تصلح لمختلف أغراض الشّعر كالقدرة على ضبط المعاني، والتّحكم فيها ومن ثمّة نقلها في أبلغ صورها وأعظم دلالتها.

ولما كان الشّاعر بصدد المدح فقد كانت الأصوات المجهورة هي الأكثر حضورا منها (الرّاء، اللام، الميم، النّون، الدّال)، فاللام حرف انحرافي قوي مجهور دال على التّغيير الحاصل في حياة الشّاعر والأمّة بأكملها، أمّا الألف فيدل على تنفيس الشّاعر وإفصاحه عمّا يدور في خاطره والإخبار والفخر (تعاظم، شأنه، خاتم، ختامه) وهي أصوات تناسب مقام الجهر والإفصاح عن صفات النّبي وفضائله، كما نجده يستخدم ضمير الغائب لأنّ الممدوح في هذا المقام غني عن التّعريف وهو معلوم لا يحتاج إلى ذكر .

ب. سطوع النّور يوم ولادته وارتجاج إيوان كسرى:

لم يقتصر الشّعراء على ذكر كيفية خلقه فحسب بل تعدّو ذلك إلى يوم ولادته وما صاحبها من دلائل النّبوة والمعجزات، فكتب السّيرة تطرقت إلى مولد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، حين وضعته أمّه آمنة بنت وهب يقال: "أنّه سطع منها نورٌ رُئِيَتْ منه قصور الرّوم"[1] . وقد أسهبت كتب السّيرة النّبويّة في وصف ما جرى في أثناء حمل السّيدة آمنة به، ووضعها له من أمور عجيبة :" أنّها أُتِيَتْ حين حَمَلَتْ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقيل لها: أنّك قد حملت بسيّد هذه الأمّة، فإذا وقع إلى الأرض قولي: أعيذه بالواحد، من شر كلّ حاسد، ثمّ سميه محمّدا، ورأت حين حملت به أنّه خرج منها نورٌ، رأت به قصور بصرى من أرض الشّام"[2].

كان شعراء المولديات على إطّلاع كبير، ومعرفة شاملة بما ورد في كتب السّيرة النّبوية، وتأثّروا به تأثرا شديدا عكسوه في شعرهم فذكروا وعدّدوا كثير ا من المعجزات قبل ولاد ته صلّى الله عليه وسلّم، وأصبحوا يلهجون بتكرار معانيها وإعادتها مجدّدين في الوقت نفسه في طرائق التّعبير عن هذه المعاني، والأساليب التي اختارها الشّعراء لبيانها، بيد أنّها ظلّت تشكّل مادة شعرية في قصيدة المولد النّبوي،

[1] ابن كثير، السيرة النّبوية،1/ 207.

[2] م.ن، ص 208.

بوصفها مظهرا من مظاهر الإعجاز النّبوي التي أحاطت بولادة خير الأنام صلّى الله عليه وسلّم، وما يثير الانتباه ويرسخ في الأذهان أنّه لحظة مولده صلّى الله عليه وسلّم، تدّلت النّجوم ، وسطع نور باهر دلالة على عظمته، وأنّه سيكون السّراج المنير لهذه الأمة، وكان النّور من العلامات التي أرهصت مولد سيّدنا محمّد وبعثه، والآيات الدّالة على صدق دعوته. ولقد تطرق الشّعراء لهذا الموضوع في شعرهم فهذا يحي بن خلدون يقول[1] [الخفيف]:

سَيِّدُ الكَوْنِ مِنْ سَمَاءٍ وأَرْضٍ ... سِـرُّهُ بيـنَ غَـايَـةٍ وافْتِتَــاحِ

سَيِّدُ العَالمِيـنَ دُنْيَـا وأُخْرَى ... أَشْرَفُ الخَلْقِ فِي العُلَا والسَّمَاحِ

زَهْرَةُ الغَيْبِ، مُظْهِرُ الوَحْيِ، مَعْنَى النُّورِ كُنْهُ المِشْكَاةِ والمِصْبَاحِ

آيَةُ المكْرَمَاتِ، قُطْبُ المعَالِي ... مُصْطَفَى الله، مِنْ قُرَيْشَ البِطَاحِ

أَوَّلُ الأنْبِيَـاءِ تَخْصِيصُ زُلْفَى ... آخِـرُ المُرْسَلِيـنَ بَعْثُ نَجَـاحِ

صَفْوَةُ الخَلْقِ، أَرْفَعُ الرُّسْلِ قَدْراً ... وسِـرَاجُ الهُدَى، وشَمْسُ الفَلَاحِ

مَنْ لمِيـلَادِهِ بمَكَّـةَ، ضَـاءَتْ ... مِنْ قُرَى قَيْصَرَ جَمِيعُ الضَّوَاحِي

وخَبَتْ نَـارُ فَـارِسَ، وتَدَاعَتْ ... مِنْ مُشِيدِ الإِيـوَانِ كُلُّ النَّوَاحِي

عدّد يحي بن خلدون صفات النّبي، و افتخر به من خلال توظيف مصطلحات عديدة للدّالة على مكانته ومنزلته صلّى الله عليه وسلّم، وعظمته في قلوب المسلمين عامة والشّعراء بخاصة، من دلالات الفخر والرّفعة والمكانة العلّية، لم يذكر ابن خلدون الرّسول باسمه بل من خلال صفاته وأسمائه مثل: سيّد الكون، سيّد العالمين، أشرف الخلق، زهرة الغيب، المصطفى المختار من الله من بين البشر كافة لما فيه من

(1) المقري التّلمساني، أزهار الرّياض في أخبار عيّاض، تح:مصطفى السّقى، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، المغرب، (د،ت)، 240/2.

جمال خلق وكريم معشر بمجيئه انتشر الهدى وعمّ الخير والإسلام بين النّاس، فالكناية عن الاسم غاية التّعظيم للمخاطب المجلّل والمدعُوِّ العظيم، لأنّه صفوة الخلق "شمس الفلاح"، وكلّها صفات وقيم معنوية، تعكس قيمة الممدوح في نفس الشّاعر، لهذا نجده قد أكثر من توظف التّشبيه البليغ، المقابلات (سماء/ أرض، دنيا /أخرى، أول /آخر)، كما افتخر بانتمائه لقريش .

ما يلبث الشّاعر يتحدّث عن معجزات ولاد ته، وكيف أنّ الله خلق الرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم أولا لكنّه بعثه آخراً، ومن الكرامات التي حدثت في أثناء مولده صلّى الله عليه وسلّم ، ذلك النّور الذي ريئت من خلاله قرى قيصر في الشّام، كما ذكر حادثة انطفاء نار فارس في قصور كسرى، دلالة على اطّلاع الشّاعر ومعرفته بما ورد في كتب السّيرة، و تمكّنه من توظيفه بما يخدم المناسبة والمقام مقتبسا "معنى النّور كنه المشكاة والمصباح" من سورة النّور في قوله تعالى:﴿**اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحُ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَةٍ ولَا غَرْبِيَةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارْ نُورٌ عَلَى نُورْ يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ويَضْرِبُ الله الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ واللهُ بِكُلِّ شيءٍ عَلِيمٌ(25)**﴾(1) .

قام الشّاعر في الأبيات السّابقة بتكرار عدد من الحروف المجهورة ، والمهموسة كالحاء، السّين، الهاء، الخاء، الصّاد، الميم، النّون، الرّاء، وتكرارها في النّص الشّعري يؤدي إلى خلق نغم موسيقي هادئ تطرب له النّفس، وهذا المزج بين الأصوات يؤدي إلى تنوّع الدّلالة فالصّوت المهموس صوت خافت يعتمد على الحس المرهف، ويوقظ حركة الوجدان كما استطاع الشّاعر لفت الانتباه، والأسماع من خلال الأصوات المجهورة الّتي لاءمت حالات انفعال الذّات، وتتّضح عاطفة الانفعال والتّوتر في توظيف حروف المدّ أيضا(سماء، غاية، افتتاح، العالمين، دنيا، العلا،النّور، المصباح، المعالي،البطاح،آخر، سراج، الفلاح)، فأضفت ضربات إيقاعية بارزة تشعرك بحال الشّاعر المتوّهجة لرؤية الحبيب المصطفى، إضافة إلى انسجامها مع فخامة الغرض والموضوع .

---

(1) الآية [25] من سورة النّور.

وصف الثّغري التّلمساني وقت ميلاده صلّى الله عليه وسلّم، وذكر النّور السّاطع بمجرّد خروجه إلى الدّنيا كأحد آياته[1] [الكامل]:

قَمَرٌ بِيَثْرِبَ أَشْرَقَتْ أَنْـوَارُهُ حَتَّى أَضَاءَتْ أَرْضَهَـا وسَمَـاهَـا

وبَدَتْ لِرَأْيِ العَيْنِ أَرْضُ الشَّامِ مِنْ أَرْضِ الحِجَاز، وأَبْصَرَتْ بُصْرَاهَا

دَنَتِ النُّجُـومُ إِلَيْـهِ عِنْـدَ وِلَادِهِ وَتَـوَدُّ لَـوْ كَـانَ الثَّرَى مَثْـوَاهَـا

كَمْ آيَـةً قَبْـلَ الـوِلَادِ وَبَـعْـدَهُ دَلَّـتْكَ أُولَاهَـا عَلَـى أُخْـرَاهَـا

قَصُرَتْ بِـأَرْضِ الشَّـامِ قَيْصَرُهَـا، كَمَا كَسَرَتْ بِـأَرْضِ الفُرْسِ مِنْ كِسْرَاهَا

لقد خصّ الله عزّ وجلّ نبيّه بمكانة كبيرة، ولعظمة ما اصطفى إليه من مهام في هذه الدّنيا فقد صاحب مولده نور كبير كإشارة على أنّ هناك حدثا عظيما، وخيرا كبيرا سيأتي ليغير هذا العالم، وأنّ هذا المولود سيكون له شأن ومكانة، فالنّور عكس الظّلام وببروزه ينجلي الظّلام، والرّسول جاء نورا يضيء بالخير علينا وعلى العالم أجمع وليزيل ظلام الكفر والجهل، الذي ساد طويلا في ذلك الوقت، فنجد الشّاعر شبّه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ، بالقمر الذي أشرقت أنواره فذكر المشبه به القمر، وحذف المشبه الرّسول على سبيل الاستعارة التّصريحية، وغرضها تجسيد المعنى في صورة محسوسة لتزيده توضيحا، وتقريبا من الذّهن كما ساهمت في الكشف عن عواطف الشّاعر وأفكاره، وبيّنت مد ى الاختلاف الذي حدث للبشرية، والكون بعد مجيء النّبي .

ذكر الثّغري ما صحب مولد النّبي صلّى الله عليه وسلّم من معجزات، وآيات كرؤية أرض الشّام من مكّة، وتدلى النّجوم، واقترابها من الأرض حين ولادته، فقد ذهب الثّغري في هذا المجاز إلى تشبيه النّجوم بالأغصان فذكر المشبّه (النّجوم)، وحذف المشبه به (الأغصان)، وأبقى على ما يدّل عليه، وهو فعل دنى، على سبيل الاستعارة المكنية، وهي صورة تعكس جمالية خاصة في شكل النّبي صلّى الله عليه

[1] الثّغري التّلمساني، الدّيوان، ص160.

وسلّم، فهو نور على نور كما صرّح عن مكانة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وعظمة الحدث، ولأنّه بصدد الفخر، والتّصريح، والتّصوير فقد غلبت على الأبيات الأصوات المجهورة ا لتي جاءت مناسبة لغرض المدح، والفخر كما اختار قافية مطلقة ، وحرف الرّوي (الهاء) لأنّ الشّاعر في هذه المناسبة أطلق العنان لمدح خير البرية، وتفجير طاقاته التّعبيرية، وصوت الهاء يكاد يخرج من أعماق الجهاز الصّوتي ليعبّر عن مشاعر عميقة متأصّلة في نفس الشّاعر، بمعنى عذب ورقيق، حيث أضفت على السّياق نغما وإيقاعا متميّزا يتوق إليه الإحساس المرهف. موظفا في الوقت نفسه الطّباق من خلال الألفاظ (أرضها/سماها، قبل/بعد، أولاها/أخراها) ليبيّن الفرق والتّغيير الذي أحدثه مجيء سيّد الخلق محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وليدّل على كثرة المعجزات، وهذا ما نجده في قوله أيضا [1] [الكامل]:

شَمْسُ الرّسَالةِ والنُّبوة والهُدى بدْرُ الجلالَةِ، نُورهَا المتَجَسّمِ

هو رَحْمَةُ الله التي يهمى بها فِي الخلْقِ بالحق المبينِ ويحكُمِ

كثيرا ما وصف الشّاعر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، بشمس الهدى والرّسالة التي تنير دروب الحقّ للتّائهين فاستعار الشّاعر لفظتي الشّمس والبدر(استعارة تصريحية) ليبيّن قيمة النّبيّ ومكانته، في قلوب المسلمين فهو بالنّسبة لهم النّور الذي أضاء الكون وأمدّه بالهداية، لأنّه جاء بالحقّ المبين ودين الإسلام، والنّور بالمعنى المجازي الهدى الذي يساعد العقول والبصائر على التّمييز بين الطّيب والخبيث من الأقوال، والحسن والقبيح من الأعمال، وهو الذي يجعل المرء يجنح إلى الأحسن منها والأقوم؛ اختار القافية المطلقة ذات الرّوي الميم لينقل للمتلقي صورة عمّا أحدثه قدوم النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وكيف أشرق الكون لمولده وزال الظّلم والظّلام، ساهمت القافية المطلقة إلى حدّ بعيد في آداء المعنى .

---

[1] م.س، ص120.

يصف الشّاعر الفرحة التي عمّت الكون قاطبة بقدوم خير الأنام سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم في قوله(1) [الطّويل]:

وفَاضَتْ به الأنْوارُ شَرْقًا ومَغْرِبَا وفي المِلَأِ الأَعْلَى سَرَى البِشْرُ والبُشْرَى

فَلَوْلَا سَنىَ نـُورُ النَّبِي محمّد لمِا أبصِرَتْ بالشَّامِ منْ مَكـَّةَ بُصْرَى

الملاحظ على شعراء المولديات في هذه الفترة ارتباطهم بكل ما ورد عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في كتب السّيرة، ويصفونها في أشعارهم منها: أنّ مملكة الفرس، شهدت ليلة مولد النّبي المصطفى ارتجاج إيوان كسرى، وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته، ونقصان ماء بحيرة ساوة، وخمود النّار.

تضمن البيت أكثر من استعارة، الأولى(فاضت الأنوار) حيث أُسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقي فجعل الشّاعر من الأنوار التي يعني بها (الهدى النّبوي) تفيض فيضان الماء، يمتد في مشارق الأرض ومغاربها، ليهتد به النّاس في كلّ البلاد، وقد أدى الفعل (فاضت) دلالة عميقة فهو يوحي بالوفرة والانتشار؛ (سرى البشر والبشرى) استعارة مكنية تدّل على انتشار الفرح في جميع البلاد ليلة ميلاد النّبي صلّى الله عليه وسلّم، معتمدا على ألفاظ تحمل دلالات متقابلة (شرقا/ مغربا) والجناس في قوله البشر والبشرى .وما ساعد الشّاعر على استعراض تجربته في المديح، وسرد سيرة النّبي هو توظيفه للبحر الطّويل لأنّه: "أكثر البحور شيوعا في أشعار العرب، ومرجع ذلك إلى انسجام موسيقاه، وطول النّفس فيه، فكان مجالا متّسعا لسرد الوقائع والتّغني بالأمجاد"(2).

---

(1) الثّغري التّلمسانى الدّيوان، ص72.

(2) محمّد كراكبي، خصائص الخطاب الشّعري في ديوان أبي فراس الحمداني، دراسة صوتية وتركيبية، دار هومة للطّباعة، الجزائر، (د،ط)، 2003، ص55.

أمّا أبو حمّو موسى الزّياني فيقول[1] من [المتقارب]:

بمولدِهِ أشْرَقَ الأفْقُ نُوراً وأُلْبِسَتْ الأرْضُ حُسْناً قَشِيبَا

وكِسْرَى تَسَاقَطَ إيوانُهُ وكَادَ منَ الرُّعْبِ يَلْقَى شُعُوبَا

ونيرَانُ فارِسَ قَدْ أخمِدَتْ وإخْمَادُهَا كَانَ سِرًّا عَجِيبَا

وجَفَّتْ مَوَارِدُ أَنْهَارِهِم وقَدْ أعقبَتْ، بَعْدَ ريٍّ نُضُوباَ

يعبّر أبو حمّو موسى عن الفرحة التي عمّت الكون بميلاد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، مستخدما صورة بيانية ساعدت على إيصال المعنى وتوضيحه، فقد شبّه الأرض بالإنسان الذي يرتدي ثوبا زاده جمالا، ورونقا فحذف المشبه به الإنسان وأبق ى على أحد لوازمه، وقرينة دالة عليه "اللّباس" على سبيل الاستعارة المكنية، ليدّل على عِظَمِ الفرح والسّرور الذي عمّ الكون بهجة وحبورا، متحدّثا عمّا صاحب ميلاده من علامات النّبوة كسقوط شرفات قصر كسرى، وانطفاء نار الفرس هاته المملكة العظيمة، ولقد تكرر توظيف هاته الحوادث عند شعراء المولديات لإطّلاعهم على ما جاء في السّير النّبوية أولا، و للدّلالة على عظمة النّبي محمّد ومكانته، عند الله سبحانه وتعالى، وفخرا به لذلك جاءت القافية مطلقة وحرف الرّوي جاء مجهورا مشبعا بألف مدّ، والجدير بالذّكر أنّ هذه الحروف التي يكثر استخدامها رويا في القصائد المولديّة في هذه الفترة هي حروف مجهورة، وهي عبارة عن " وحدات صوتية يوفّر انتشارها في النّص الشّعري ظلالا من المعاني تتصّف بالتّفخيم لأن الأصوات المجهورة تثير انتباه السّامع" [2].

---

[1] يحي بن خلدون، بغية الرواد، 331/2. (ينظر عبد الحميد حاجيات، أبو حمّو موسى حياته وآثاره، ص 365).

[2] محمّد كراكبي، خصائص الخطاب الشّعري في ديوان أبي فراس الحمداني، ص99.

2. تعداد معجزاته وفضائله (صلّى الله عليه وسلّم):

يعدّ تعداد معجزات النّبي عنصرا أساسيا في بناء القصيدة المولدية، وهو غالبا ما يأتي بعد مدح النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وذكر صفاته.

والمعجزة هي أحد مظاهر النّبوة، فما من نبيٍ إلّا وأيّده الله تعالى بما يثبت نبوّته وصحّة رسالته، فخصّ الله تعالى كلّ نبيّ بمعجزة خاصة أو معجزات، ذُكِرَتْ كلّها في الكتاب العزيز، و على الرّغم من أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم،لم ينل من المعجزات ما كان للرّسل قبله، إلا أنّه مُنِحَ أعظم معجزة ألا وهي :

أ. القرآن الكريم المعجزة الخالدة:

يعدّ القرآن الكريم من المعجزات التي أيد الله تعالى بها سيّدنا محمّدا صلّى الله عليه وسلّم، متحدّيا به العرب، وهم المشهورون بالفصاحة والبيان، أن يأتوا بعشر سور مثله، في قوله تعالى : ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ، مُفْتَرَيَاتٍ، وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وأن لَا إِلَهَ إلاّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(14)**﴾[(1)].

بل أن يأتوا بسورة واحدة من مثله يقول عزّ وجلّ :﴿**قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً(88)**﴾ [(2)].

فالقرآن الكريم معجز بفصاحته وبلاغته، وبهذا يكون من أكبر المعجزات التي أيدّ الله بها نبيّه الكريم" فالقرآن الكريم بإعجازه هو إثبات لقدرة الله تعالى واثبات عجز الخلق عن معارضته" [(3)]. وهناك من شعراء الجزائر في القرن الثّامن لهجرة من نوّه بالقرآن الكريم في مديحهم النّبوي، هذه المعجزة اللّغوية

---

(1) الآية[13/ 14] من سورة هود.

(2) الآية [88] من سورة الإسراء.

(3) عبد الحميد محمود، المعجزة والإعجاز في سورة النّمل، دار القلم، دمشق، (د، ط)، (د، ت)، ص15.

السّاحرة في نَظْمِها والباهرة في مضامين آياتها وسورها، والتي عجز الكفّار عن التّغلب عليها سواء من ناحية مضامينها أو نظمها.

اتّخذ الشّعراء من معجزات النّبي صلّى الله عليه وسلّم، مادة لمديحهم مستلهمين ذلك من مخزونهم الثّقافي، ورصيدهم المحفوظ من كتب السّيرة والأحاديث النّبوية، والموروث الشّعري، فذكروها في أشعارهم منهم الثّغري التّلمساني الذي يقول[1] [الطّويل]:

نَبِيٌّ جَمِيعُ الرُّسْلِ تَحْتَ لِوَائِهِ وَقَدْ خُصَّ دُونَهُمْ، بِلِوَا الحَمْد

كَمَا خُصَّ بِالسَّبْعِ المثاني[2] كَرَامَةً مِنَ الله، وهِيَ السَّبْعُ مِنْ سُورَةِ الحَمْدِ

لَهُ مُعْجِزَاتٌ، مَاثَلَتْ كُلَّ مَا أتَى بِهِ الرُّسْلُ مِنْ آيٍ، وأَرْبَتْ عَلَى العَدِّ

وأَعْظَمُهَا القُرْآنُ، يَهْدِي لنَا الهُدَى فيَا حُسْنَ مَا يَهْدِي، ويَا فَوْزَ مَنْ يَهْدِي

هُوَ الوَحْيُ أَجْلَى مِنْ سَنَا[3] الشَّمْسِ فِي الضُّحَى/ سَنَاهُ، وأَحْلَى، حِينَ يُتْلَى، مِنَ الشَّهْدِ

سعى الشّعراء من خلال قصائد المديح النّبوي إلى رسم صورة مثالية للخصال والفضائل المحمّدية، وإبراز تجلّيات الجوانب الدّينية لهذه الشّخصية، وكانت الدّساتير الكبرى للصّورة الشّعرية عند أهل القريظ منَ السّيرة النّبوية والقرآن الكريم، مركّزين في مواضيعهم على صفات النّبي وأخلاقه من جهة، وعلى معجزاته بالرّغم من تعدّدها من جهة أخرى، ومن هذا المنطلق نجد الثّغري متأثّرا بما ورد في الكتاب العزيز

---

(1) الثّغري التّلمساني، الدّيوان، ص55.

(2) **السّبع المثاني**: من العلماء من يفسرها على أنّها السّور السّبع الطّوال في القرآن الكريم(البقرة، آل عمران، التّوبة، الأنفال، النّساء، المائدة، الأنعام، والأعراف)، أمّا المقصود بالمثاني هنا: السّور التي تتكرر فيها المواعظ والعبر التي تفيد الأمّة؛ بينما يرى ابن كثير وابن جرير– وهو التّفسير الأرجح– أنّ المقصود بالسّبع المثاني هي سورة الفاتحة، والسّبع لأنّ عدد آياتها سبع آيات من دون بسملة، والمثاني: أي أنّ المصلي يكرر قراءتها أو يثني على الله في كلّ صلاة سواء في الفرض أو النّوافل. (ينظر أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدّمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي محمّد سلامة، دار طيبة، السّعودية، ط1،1997، 101/1).

(3) **السّنا**: الضّوء السّاطع.

مقتبسا ألفاظه مثل "**السّنا**" إذ جاء في التّنزيل العزيز قوله:"**يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ**"[1]، "**السّبع المثاني**" كناية عن القرآن الكريم وسورة الفاتحة، والتي وردت في سورة الحجر لقوله تعالى:﴿ **ولَقَدْ أتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ المَثَانِي والقُرْآنَ العَظِيمَ** ﴾[2]، كما روى عن أبي هريرة أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال : " الحمد لله أمّ القرآن وأمّ الكتاب والسّبع المثاني والقرآن العظيم"[3]، وقد قالها في بيان فضل سورة الفاتحة، كما يذكر ما اختص به الله نبيّه من فضل فهو آخر الرّسل والمقدّم عند الله عزّ وجلّ، وجميع الرّسل تحت لوائه يوم القيامة.

مثّلت قصائد المديح النّبوي مظهرا من مظاهر المحبّة، وهي وسيلة للتّقرب، ويعتبر حقل الطّبيعة من الحقول التي شملت عليها الأبيات، وهي الصّور التي صاغها الشّعراء بأساليب عديدة إضافة إلى أنّ مظاهر الطّبيعة مثّلت صورا للتّشبيه في أغلبها من ذلك وصفه صلّى الله عليه وسلّم.

ميّز الله نبيّه الأمين عن باقي الرّسل والأنبياء بالقرآن الكريم أعظم معجزاته، وللمحبّة الكبيرة التي يكنّها الشّاعر نجده يفتخر، ويعظّم كلّ ما أتاه الرّسول من معجزات مبينا فضل القرآن، وما جاء به من الهدى، ومن أتاه فاز فوزا كبيرا، فهو ذو قيمة كبيرة في قلوب المسلمين ومقدّس لديهم مستخدما صورة بيانية ساعدته على تقريب الصّورة ، وإيصالها للمتلقي من خلال التّشبيه البليغ حين شبّه الوحي(القرآن) بسنا الشّمس (الضّوء السّاطع) الذي انجلى به ضلال الكفر، والشّرك وبزوغ فجر الإسلام والإيمان، وبالشّهد(العسل) في عذوبة ألفاظه وسلاستها، ومدى تأثيرها في الأسماع .

إنّ لبعض الأصوات قدرة على التّكثيف والتّوافق مع ظلال المشّاعر، فيتحقق للغة ثراء لا حدود له، وللصّوت الصّائت طاقة وجدانية تعكس ما بذات الشّاعر من مشاعر وإيقاعات وجدانية، وعند التّدقيق في الأبيات نجد أنّ الشّاعر زاوج بين الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة، مع أفضلية لهذه

---

(1) الآية [43] من سورة النّور.

(2) الآية [87] من سورة الحجر.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 101/1.

الأخيرة، فلقد تكرر صوت الميم (19)مرة، والميم صوت شفوي أنفي مجهور، تلحق به صفة الغنّة، فالشّاعر في تكراره لهذا الصّوت يوحي بكلّ مشاعر الحبّ والهيام والاشتياق، التي تنفعل في النّفس تجاه المصطفى عليه الصّلاة والسّلام، لتصل إلى الشّفتين ليعبّر هذا الصّوت عن كلّ الانفعالات الكامنة في نفس الشّاعر، إضافة إلى اختياره أصوات اللّام والنّون إلى جانب أنّ للأصوات المهموسة دور ا في إيصال المعنى ألا وهو الفخر ، كما أتاح البحر الطّويل للشّاعر مساحة لمدّ الصّوت ووعاء يحمل الشّحنات الشّعرية.

ب. قصّة الإسراء والمعراج:

لعلّ السّبب في ذكر الشّعراء لحادثتي الإسراء والمعراج في مولدياتهم، يعود إلى أنّهم رأوا فيهما كرامة من الله عزّ وجلّ، خصّ بهما رسوله محمّدا دون غيره من الأنبياء والبشر.

وتعدّ حادثتا الإسراء والمعراج أهم المعجزات النّبوية بعد القرآن الكريم، ومن أهم الأمور الخارقة التي أجراها الله تعالى على يد نبيّه ، فكان الشّعراء والفقهاء يرون :"أنّ قصّة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات والبيّنات، وأقوى الحجج، وأصدق الأنباء، وأعظم الآيات، لأنّه أوتي فيها صلّى الله عليه وسلّم مالا يحيط به أحد "[1]، فالإسراء هي الرّحلة الّتي قام بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلا على متن البراق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى :" ويذهب معظم السّلف والمسلمين أنّ تلك الرّحلة كانت بالرّوح والجسد وفي اليقظة "[2].

---

[1] القاضي عياض، كتاب الشّفا في تعريف حقوق المصطفى، ص132.

[2] م.ن، ص133.

لقد وقف الشّعراء عند حدّ ما جاء في القرآن الكريم بما يخصّ هذه الحادثة لاسيما في قوله تعالى:﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ال بَصِيرُ(1)**﴾[1]، أمّا المعراج فهو الرّحلة الثّانية من تلك الرّحلة اللّيلية، وفيها عرّج بسيدنا محمّد من المسجد الأقصى (من الأرض)، إلى السّموات العلى، بحيث أصعد المعراج[2]، وأخذ ينفذ من سماء إلى سماء حتّى بلغ سدرة المنتهى[3]، وكان برفقته جبريل عليه السّلام، وقد ذكر الله تعالى هذا العروج في سورة النّجم في قوله:﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَاغَوَى(2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى(6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى(7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى(8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى(9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى(10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى(12) وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى(14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى(15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى(17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)** ﴾[4].

وممّا شرّف الله تعالى به سيّدنا محمّداً في الإسراء والمعراج، مايلي:

1- ترحيب الأنبياء، ممن مرّ بهم، به والدّعاء له بالخير.

2- اطّلاعه على النّار.

3- رؤيته أصنافا من العباد، الّذين أضلّهم الشّيطان، واتّبعوا أهواءهم في الدّنيا، وكيفية تعذيبهم في النّار.

4- رؤيته سدرة المنتهى.

5- رؤيته الجنّة.

---

(1) الآية[1] من سورة الإسراء.

(2) **المعراج**: السّلم.

(3) **سدرة المنتهى**: شجرة نبق على يمين العرش. ورقها كآذان الفيلة، ونبقها كقلال هجر. لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم.

(4) الآية [1-18] من سورة النّجم.

6- رؤيته جبريل في الصّورة التي خلقه الله عليها .

7- الدّنو والقرب من الحضرة الإلهية العظيمة .

8- إيحاء الله إليه ما أوحى .

9- تكليم الله ومناجاته.

10-إمامته الأنبياء، والصّلاة بهم.

وفي تلك المظاهر تشريف عظيم من الله لسيّدنا محمّد أكرم خلقه عنده، وأفضل أنبيائه وخاتمهم.وهي دليل كذلك على عظمة الله وقدرته.

وفي هذا الصّدد يقول يحي بن خلدون [1] [الطّويل]:

مَنْ رَقَى فِي السَّمَاءِ سَبْعاً طِبَاقاً ورأى آيَ ربِّه في اتِّضَاحِ

ودَنَا مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ قُرْباً ظَافِراً في العُلَى بِكُلِّ اقْتْرَاحِ

لقد أفاد الشّعراء من النّص القرآني، وأبانوا عن قدرتهم على توظيفه في النّصوص، فيحي بن خلدون يشير في هذين البيتين إلى عروج الرّسول ، وارتقاءه إلى السّماوات السّبع العلى ، ورؤيته أيات ربّه بكلّ جلاء ووضوح، وهي كرامة خصّ الله بها نبيّه، وهذا ما أكده أبو جمعة التّلاليسي [2] في قوله [مخلّع البسيط]:

سرَى إلى عَرْشِ ذِي المَعَالِي واللَّيلُ مُحْلَوْلَكٌ الغَيَاهِبِ

---

(1) يحي بن خلدون، بغية الرّواد، 436/2. (ينظر المقّرى التّلمساني، نفح الطّيب،6 /510. معجم أعلام شعراء المدح النّبوي، محمّد أحمد درنيقة، تح: ياسين الأيوبي، دار الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص439).

(2) م.ن، ص 166. (ينظر محمّد بن عمرو الطّمّار، تلمسان عبر العصور، المؤسّسة الوطنّية للكتاب، الجزائر،ط1، 1984، ص160).

فَكَانَ فِي القُرْبِ والتَّدَانِي كَقَابِ قَوسَينِ فِي المراتبِ

شَرَّفَهُ وارْتَضَاهُ مَولىً أَوحَى إليهِ منْ غيرِ حَاجِبِ

ولعلّ أبرز من تطرّق لمعجزة الإسراء والمعراج من الشّعراء المغاربة هو الثّغري التّلمسانيّ، الذي ذكر مظاهر الحظوة، والتّشريف الّتي حظي بها سيّدنا محمّد في الحضرة الإلهية يقول[1] [الطّويل]:

نَبِيٌّ رَآهُ اللهُ أفْضَلَ خلقِهِ فَأَرْسَلَهُ بِالحَقّ لِلْحَقّ هَادِياً

وأَسْرَى بِهِ لَيْلًا إلى حَضْرَةِ العُلَى فَشَاهَدَ فِيهَا كُلَّ مَا كَانَ خَافِياً

سَرَى رَاكِباً ظَهْرَ البُرَاقِ[2] كَرَامَةً وبينَ يديهِ سَارَ جِبْرِيلُ مَاشِيًا

دَنَا فَتَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ رِفْعَةً وقُرْباً فَأَمْسَى للحَبِيبِ مُنَاجِياً

تحدّث الشّاعر عن المكانة الكبيرة التي خصّ الله بها نبيّه فهو أفضل الخلق والمنتقى، المرسل بالحق والهداية للنّاس، كما سرد ما حدث مع الرّسول الكريم ليلة أُسريَ به إلى السّماوات العُلى من كرامات ؛ فقد رأى وعلم في تلك اللّيلة مالم يعلمه قبله أحد من الرّسل والملائكة، مقتربا من عرش الرّحمن مكلّما ومناجيا له، مستخدما بحر الطّويل الذي أتاح للشّاعر مدّ الصّوت ومساحة أخرى أرحب لتقديم المعاني التي تستوفي مقام المديح، كما مكّنه من التّعبير عن المشاعر النّبيلة التي يكّنها الشّعراء للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وما ساعد الشّاعر على التّعبير والتّنفيس عمّا يعتريه من مشاعر حرف الرّوي(الياء)، ولم تخلوا الأبيات من حروف المدّ التي ساعدت على إطلاق المشاعر والتّصريح بها(هاديا، خافيا، راكبا، شاهدن ماشيا، سار)، إلى جانب الأصوات المجهورة كالرّاء، والباء ، واللّام وهو صوت انحرافي لاءم موضوع الأبيات وبيّن التّحول الحاصل في حياة النّبي والتّغيير الذي طرأ عليه وعلى البشرية بعد إسرائه.

[1] الثّغري التّلمسانيّ، الدّيوان، ص168.

[2] **البراق** : الدّابة التي كان يحمل عليها الأنبياء قبل رسول الله. وهو أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، وفي فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه، يضع حافزه في منتهى طرفه. (راجع : لابن كثير، السّيرة النّبوية،2/ 95؛القاضي عياض، كتاب الشّفا، ص126).

ومن[الكامل] يقول[1]:

أُسْرِيتَ للسَّبْعِ الطِّبَاقِ فَأَقْبَلَتْ أَمْلاَكُهَا طُرًّا عَلَيْكَ تُسَلِّمُ

وتَبرَّكَتْ بِصلاتِكَ الأَرْسَالُ إذْ صَلَّتْ وأَنْتَ إِمَامُهَا المتَقَدِّمُ

رُفِعَتْ لَكَ الحُجُبُ العَظِيمَةُ فَاعْتَلَى بِكَ لِلْعُلَى ذَاكَ المِقَامُ الأَعْظَمُ

حتّى سَمِعْتَ صَرِيفَ أقْلَامٍ بِهَا في اللَّوْحِ مَحْفُوظاً تَخُطُّ وتَرْسُمُ

فِي حَيْثُ لا مَلَكٌ، ولَا فَلَكٌ، ولا نَجْمٌ، ولَا عَلَمٌ هُنَالِكَ يَعْلَمُ

تِلْكَ المرَاتِبُ لَمْ يَكُنْ يَنَالُهَا إلّا النَّبيُّ الهاشميُّ الأكرمُ

يصف الثّغري ما شاهده الرّسول في أثناء عروجه ومروره بالسّماوات السّبع، وسلام الملائكة والرّسل له في كلّ سماء يمرّ بها، وما فضّله الله به فقد صلّى بالرّسل والأنبياء الذين سبقوه جميعا، وكلّم الله من غير حجاب، فكان أقرب ما يكون العبد من ربه (فكان قاب قوسين أو أدنى)، وعلّمه الله في هذه الرّحلة المعجزة مالم يعلمه غيره، فقد رأى كرامات كثيرة منها أهل الجنّة وأهل النّار، وصوله إلى سدرة المنتهى، فرض الصّلاة وغيرها، ويعترف الشّاعر ويفتخر بأنّ النّبي قد حظي بشرف علّو مرتبته التي لم يصل إليها غيره.

اختار الشّاعر بحر الكامل لأنّه يتيح مساحة صوتية كبيرة تناسب التّفاصيل، وتوافق الأسلوب القصصي، والتّناسق بين الحالات النّفسية والاسترسال "فهو يخدم تريث القول وسّعة الفكرة التي يتطلب إيصالها مساحة عروضية كبيرة"[2]. إلى جانب تكرار صوت اللّام والميم، وهي أصوات انفجارية فالأول يدل على التّغيير الحاصل في حياة الرّسول بعد هذه الرّحلة، وحرف الرّوي جاء من الحروف الشّائعة

---

(1) الثّغري التّلمساني، الدّيوان، ص123.

(2) عبد النّور داود عمران، البنية الإيقاعية في شعر الجواهرى، دار الفكر العربي، لبنان،ط1، 1996، ص67.

الاستعمال لما تتصّف به من خفّة بالنّطق وجهره في الصّوت. ومن الأصوات المهموسة المكررة في هذه الأبيات صوت التّاء، انفجر على لسان الشّاعر ليوحي بعمق التّغيير الّذي حدث.

ج. معجزات أخرى :

من الآيات الباهرة التي أيّد بها الله تعالى سيّدنا محمّداً آية انشقاق القمر، وحبس الشمس.

فأمّا انشقاق القمر وتتمثّل في انفلاق القمر، وهو بدر فلقتين. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ (1) وإِنْ يَّرَوْا ءايَةً يُعْرِضُوا ويَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌ**﴾ [1]. والأحاديث الواردة في هذه الآية الطّبيعية الخارقة كثيرة، منها حديث ابن مسعود، ﷺ :" انشقّ القمر على عهد رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: اشهدوا"[2].

أمّا حبس الشّمس، وقد أوشكت أن تغرب، بأمر الله وقدرته، استجابة لدعوة سيّدنا محمّد، فتتّصل بمعجزة الإسراء. حتّى يرى المشركون القافلة التي مرّ بها الرّسول يوم أُسري به، وما وقع له وهو متوجّه إلى الشّام، ويتمثّل في نفور جمل من إحدى القوافل التّجاريّة، وأنّه هو الذي دلّ أصحاب ذلك الجمل الشّارد على مكان وجوده.وفي هذا يقول يونس بن بكير:" عن أسباط، عن إسماعيل السُّدّي: أنّ الشّمس كادت أن تغرب قبل أن يقدم ذلك العيرُ، فدعا الله، عزّ وجلّ، فحبسها حتّى قدموا كما وصف لهم. قال: فلم تحتبس الشّمس على أحد إلاّ عليه ذلك اليوم، وعلى يوشع بن نون"[3].

وهناك رواية أخرى تتعلّق بانحباس الشّمس كذلك، وتتمثّل في ردّها على رسول الله بعد غروبها، وأساس ذلك حديث يسند إلى أسماء بنت عميس وهو:"أنّ النّبي، صلّى الله عليه وسلّم، كان يوحى إليه، ورأسه في حجر عليّ، فلم يصلّ العصر حتّى غربت الشّمس،فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،:

---

(1) الآية[3] من سورة القمر.

(2) القاضي عياض، كتاب الشّفا، ص191.

(3) ابن كثير، السّيرة النّبوية، 2/ 97.

أصلّيت يا عليّ؟.فقال: اللّهم إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد الشّمس عليه. قالت أسماء: فرأيتها غربتْ ثمّ طلعتْ بعدما غربتْ، ووقفت على الجبال والأرض، وذلك بالصّهباء[1]، وفي خيبر"[2] .

نوّه شّعراء المغرب في مولدياتهم بآيتي انشقاق القمر وحبس الشّمس، وأشادوا بهما. ولم يقتصر الشّعراء على هاتين الآيتين فمعجزات الرّسول كثيرة ، ومن معجزاته التي ذكرت في المولديات : فوران الماء من بين أصابعه؛ وإنطاق العجماوات له، ومنها الضّب، الغزالة، الذّئب، وأنين الجذع وحنينه، تسبيح الحصى في كفّه...

اطّلع الشّعراء على ما جاء في السّيرة النّبوية من معجزات، ووظفوها في أشعارهم، ولأنّ تعداد المعجزات ركن رئيس في المديح النّبوي فلا تخلوا منها قصيدة واحدة، يروى أنّ النّاس أصابهم العطش يوم الحديبية فأقبلوا نحو رسول الله: "وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك، فوضع النّبي صلّى الله عليه وسلّم، يده في الرّكوة[3] فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون"[4].

وممّا أيد الله به رسوله صلّى الله عليه وسلّم، ونوّه به الشّعراء إنطاق العجماوات له؛ومنها الضّبّ. يروى عن عمر أنّ رسول الله "كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابيّ صاد ضبًا فقال: من هذا؟. قالوا نبيّ الله. فقال: واللّات والعزّى لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضّبّ. وطرحه بين يدي النّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم له: يا ضبُّ، فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا: لبّيك وسعديك يا زين من وافى القيامة، قال: من تعبد؟. قال:الذي في السّماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنّة رحمته، وفي النّار عقابه، قال: فمن أنا ؟. قال: رسول ربِّ العالمين، وخاتم النّبيّين، وقد أفلح من صدّقك، وخاب من كذّبك. فأسلم الأعرابي"[5].

---

(1) **الصّهباء**:موضع بالقرب من خيبر.

(2) القاضي عياض، كتاب الشّفا، ص192.

(3) **الرّكوة**: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، تجمع على ركاء، وركوات.

(4) القاضي عياض، ص194.

(5) م.ن، ص208.

ومن المعجزات الأخرى التي أشار إليها الشّعراء في مولديّاتهم تسبيح الحصى في كفّه عليه الصّلاة والسّلام. قال أنس:" أخذ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كفّاً من حصىً فسبّحن في يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حتّى سمعنا التّسبيح"[1].

يقول أبو حمّو موسى في تعداد معجزات النّبي[2] [الكامل]:

والبَدْرُ شُقَّ بِغَيْرِ إِفْكٍ يُفْتَرَى لمحَمَّدٍ المخْتَارُ مِنْ خَيْرِ الوَرَى

والجِذْعُ حَنَّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا والماءُ نَبْعًا مِنْ أَنَامِلِهِ جَرَى

مِنْ غَيْرِ لَا مَنُونٍ ولَا مَمْنُوعٍ

أحصي أبو حمّو موسى معجزات النّبي عليه الصلاة والسّلام من انفلاق بدر، وحنين جذع، وجريان ماء، مستخدما بحرا يناسب الوصف، كما كان لتكرار الأصوات المجهورة دور في الجهر بهذه المعجزات،ومن ثمّة الجهر بعظيم مكانته.

كما نجد الثّغري يحصي معجزاته صلّى الله عليه وسلّم قائلا[3][الطّويل]:

وكَمْ مُعْجِزَاتٍ قَدْ أَتَى قَوْمَهُ بِهَا ولَكِنَّهُمْ عَنْ مَنْهَجِ الحَقِّ قَدْ عَمَوُا

وآيَتُهُ فِي الغَارِ إِذْ مَكَرَتْ بِهِ قُرَيْشُ، وربُّ العَرْشِ يَحْمِي ويَعْصِمُ

وفِي غَزْوَةِ الأَبْوَاءِ إِذْلَمْ يَكُنْ بِهَا مِنَ المَاءِ عِنْدَ القَوْمِ مَا يَتَوَهَّمُ

ولَمْ يَجِدُوا فِي رَحْلِهِمْ غَيْرَ قَطْرَةٍ بِغُزْلَانِ شَخَبٍ لَا يُبَلُّ بِهَا الفَمُ

وفَاضَ نَمِيرُ الماءِ بَيْنَ بِنَانِهِ إلى أَنْ تَرَوَّى الجَيْشُ وَهُوَ عَرَمْرَمُ

---

(1) م.س، ص206.

(2) يحي بن خلدون، بغية الرّواد، 355/2.

(3) الثّغري التّلمساني، الدّيوان، ص 133 .

وحِينَ ارْتَوُوا مِنْ عِنْدَ آخِرِهِمْ بِهِ لَقَدْ كَفَّ عَنْهُ كَفُّهُ وَهُوَ مُفْعَمُ (...)

فَشَقَّ أَدِيمَ الأَرْضِ رَكْضًا بِرِجْلِهِ فَفَاضَ بِهِ عَيْنٌ مِنَ الماءِ يَعْلَمُ

وكَمْ مِنْ جَمَادٍ قَدْ غَدَا نَاطِقًا لَهُ وعَجْمَى بِأَفْصَحٍ غدَتْ تتَكَلّمُ

كَجِذْعٍ، وحَصْبَاءٍ، وضَبٍّ وظَبْيَةٍ وطِفْلًا رَضِيعٍ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ يُفْطَمُ

وعَادَتْ إِلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدَ غُرُوبِهَا وشَقَّ لَهُ البَدْرُ المنِيرُ المتَمَّمُ

وآيَاتُهُ كَالشُّهُبِ نُورًا وَكَثْرَةً أَتُحْصَرُ أو تُحْصَى عَلَى العَدِّ

وَقَدْ أَجْمَعُوا مِنْهَا عَلَى أَلْفِ مُعْجزٍ رَوَى بَعْضَهُنَّ التِّرْمِذِيُ وَمُسْلِمُ

ذكر الثّغري كثرة معجزات الرّسول وآياته، التي أيده الله بها وأراها لقومه المصرّين على ضلالهم وكفرهم، فسردها الشّاعر سردا تاريخيا متتاليا فخرا واعتزازا بعظمة ما جاء به الهادي البشير لأمته، وعظمة معجزاته التي لاتحصى، ولا تعدّ مؤكّدا وقوعها ودرايته بها، واطّلاعه عليها في سنن التّرمذي ومسلم، بد ءً بحماية ربّ العباد للنّبي في الغار، إلى غزوة الأبواء، وكيف تروّى الجيش بعد أن كانوا يشكون نقص الماء، وغيرها من المعجزات كتكلّم الجماد والحصباء، وانشقاق القمر وعودة الشّمس بعد غروبها، من خلال توظيف صور بيانية كالكناية في قوله(وفاض نمير الماء بين بنانه)، وفي قوله(فشق أديم الأرض ركضا برجله) كناية عن القوة، وعظم معجزاته وآياته صلّى الله عليه وسلّم، والاستعارة المكنية في قوله (وكم من جماد قد غدا ناطقا له) شبّه الجماد بالإنسان فحذف المشبّه به الإنسان، وأبقى على إحدى صفاته وهو النّطق، والتّشبيه في قوله (وآياته كالشّهب نورا وكثرة) فقد شبّه معجزاته بالشّهب في نورها وكثرتها، المشبه الآيات والمشبه به الشّهب والآداة الكاف، ونجد الجناس في قوله (كفّ/كفّه) جناس تام، والنّاقص (أتحصر/تحصى)، الذي أضفى على القصيدة جرسا موسيقيا جميلا، موظفا بحر الطّويل الذي يساعد على السّرد والوصف لما يتميّز به من خفّة.

كما يقول أيضا[1] [الطّويل]:

وحَنَّ إِلَيْهِ الجِذْعُ عِنْدَ فِرَاقِـهِ		حَنِينًا كَمَا حَنَّتْ مِنَ الفَقْدِ ثَاكِلُ

المتأمل في قصائد الثّغري بالخصوص يجده قد كرر ذكر وتعداد معجزات الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وذلك لأهميتها واعتزازهم بها، وجمال الصّور البيانية الموظفة والمعبّرة، حيث استطاع الشّاعر أن يجعل المتلقي يدخل في جوّ القصيدة منها: التّشبيه فقد شبه حنين الجذع بالمرأة الثّكلى التي فقدت وليدها، وأشركهما معا بخاصية الفراق، كما أعطى للجذع صفات الإنسان بجعله يحّس ويشعر على سبيل الاستعارة المكنية، ولإيصال الصّورة كاملة زاوج الشّاعر بين الأصوات المجهورة والمهموسة في البيت حيث تكررت النّون للتّعبير عن شدّة اشتياق الجذع للرّسول صلّى الله عليه وسلم، والحاء الذي أوصل لنا حالة الحرقة وألم الفراق والفقد، والحسرة.

اختار الشّاعر لقصيدته حرف روي قوي مجهور والمتمثّل في حرف اللّام، الذي يحقق في القصيدة وقعا موسيقيا يحسّه القارئ في أثناء قراءته لها، فلقد اختار الشّاعر من الأصوات ما يعبّر عن سموه صلّى الله عليه وسلّم، وكانت الأصوات المجهورة قطعا ويقينا مناسبة للمقام، وللإفصاح عمّا يختال النّفس من مشاعر الهوى والشّغف بشخصية الرّسول، والتّعبير والإشادة بخصاله وفضائله النّيرة ومعجزاته، ولاءم ذلك الجهر، جهر النّبي عليه الصّلاة والسّلام والإفصاح عن منهج الحقّ.

---

[1] م.س، ص 99.

3.الشّفاعة والتّوسل:

أخذ شعراء المولديات كغيرهم من الشّعراء بجواز التّوسل بالرّسول الكريم، معتبرينه القوّة المخلصة، لذلك حظي التّوسل بالرّسول الكريم بحضور واضح في القصيدة المولدية.

لقد توّسل الشّعراء إلى النّبي، وتشفّعوا به وهم مطمئنو النّفس إليه، وغايتهم من هذه الشّفاعة أن تكون مصدر عون لهم، عندما تضيق بالنّاس السّبل من أهوال يوم القيامة، وجعلوا مدح الرّسول وسيلة للتّقرب من الله عزّ وجلّ وتوّسلا لرفع المعاناة، وصرفا للبلوى، وتكفيرا للذّنوب ومحوا للأخطاء واستغفارا لما بدر من هفوات، وطمعا في الجنّة، لأنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، عند الله عزّ وجلّ شفيعهم يوم القيامة.

يعدّ عنصر الشّفاعة والتّوسل من أدّق المواضيع التي تمثّل قمّة التّعبير عن قرب العبد الورع من ربّه، يؤكد ذلك خلوّ الدّعاء من مطالب دنيوية، كسعّة الرّزق، ورغد العيش، وما يدخل في مدار زخرف الدّنيا وزينتها، ويتّسم عنصر التّشفع والتّوسل بنغمة حزينة وبالأسى في وسيلة التّعبير عنه، وغالبا ما يستدعي الاستعطاف والتّفاعل مع الشّاعر، ويكون دعاء الشّعراء وتوّسلهم بأسمى ما يدعوا به المؤمن التّقي، فهو وسيلتهم إلى غفران الخطايا والذّنوب ودخول الجنّة، فيصور نفسه بأنّه غارق في الذّنوب والخطايا إلّا أنّ أمله موجود في استجابة الرّسول الكريم ليجبر حاله، كما ناشدو الاستجارة بالرّسول الكريم من العذاب ذخيرتهم في ذلك الحبّ الصّادق للرّسول عليه الصّلاة والسّلام. وهذا ما نجده عند أبي زكريا يحي بن خلدون(1)[الخفيف]:

وَا خَسَارِي يَوْمَ القِيَامَةِ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللهُ زَلَّتِي واجْتِرَاحِي

لَمْ أُقَـدِّمْ وَسِيلَـةً فِيــهِ إِلاَّ حُبَّ خَيْرِ الوَرَى الشَّفِيعِ المَاحِي

مَنْ يُجِيرُ الوَرَى غَدًا يَوْمَ يُجْزَى كُلُّ عَـاصٍ وطَـائِعٍ بِـاجْتِرَاحٍ

(1) المقّري التّلمساني، أزهار الرّياض في أخبار العياض، 1/ 239.

مَنْ إِلَى حَوْضِهِ وظِلِّ لِـوَاهُ يَلْجَأُ النَّاس بَيْنَ ظَامٍ وضَاحِي

يتحسّر الشّاعر على ضياع عمره إن لم يغفر له المولى عزّ وجلّ زلاّته وغفلته، لذلك افتتح أبياته بواو النّدبة لأنّه يندب حظّه، طامعا في المغفرة ، وسيلته إليها حبّ محمّد عليه الصّلاة والسّلام، فهو الشّفيع الماحي للذّنوب (خير الورى) كناية عن الرّسول، المجير يوم يجزى كلّ صنيع عمله موظفا الطّباق (عاص/طائع)، والجناس(ظام/ضاحي)، فهو أملهم، ولأنّ الشّاعر في مقام التّوسل فقد طغت على الأبيات نغمة الحزن تتجلى في أصوات السّين الدّال على الأسى والحزن، التّاء والحاء الذي أستخدمه الشّاعر كحرف روي للدّلالة على الحرقة والنّدم على ما فات.

إلى جانب الشّفاعة نجد الشّعراء يتحدّثون عن نهر الكوثر منهم الثّغري[1] [الكامل]:

ولَهُ الشَّفَاعَةُ، وَهُوَ مَخْصُوصٌ بِهَا يَـوْمَ القِيَـامَةِ فِي ذَوِي الإجْرَامِ

ولَـهُ لِـوَاءُ الحَمْدِ مَعْقُـودٌ بِـهِ والكَوْثَرُ المَوْرُودُ دُونَ زِحَـامِ

ومَقَـالُـهُ المِسْمُوعُ فِيهِ عِنَايَـةٌ ومَقَـامُـهُ المَحْمُودُ خَيْرُ مَقَـامِ

لقد خصّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، دون غيره من الرّسل والأنبياء بالمكانة العليّة، وفي هذه الأبيات يذكر الشّاعر ما كرّم الله به رسوله الكريم يوم القيامة وخصّ به منها: الشّفاعة يوم القيامة لكل مؤمن مذنب أو مقصّر، لواء الحمد يقول صلّى الله عليه وسلّم:" أنا سيّد النّاس يوم القيامة ولا فخر، ما من أحد إلاّ وهو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج، وإنّ معي لواء الحمد، أنا أمشي ويمشي النّاس معي، حتّى آتي باب الجنّة فأستفتح فيقال:من هذا؟ فأقول: محمّد، فيقول: مرحبا بمحمّد، فإذا رأيت ربي خررت له ساجدا أنظر إليه"[2]. كما خصّه بالحوض الذي يصبّ فيه نهر الكوثر، ترد إليه أمّته، وتجتمع

---

[1] الثّغري التّلمسانيّ، الدّيوان، ص 138.

[2] أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النّيسابوري، المستدرك على الصّحيحين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 542 .

حوله، مكررا لفظ (وله) للدّلالة على كثرة ما منح الله نبيّه،كذلك الجناس في قوله (مقاله/مقامه)، موظفا الأصوات المجهورة كروي الميم، واللّام المناسبين للجهر .

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :" حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواءٌ، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السّماء، من شرب منه لا يضمأ أبداً"[1].

يقول الثّغري[2][الطّويل]:

مَدَدْتُ يَدَيَ يَا ذَا المِعَارِجِ رَاجِياً وأَصْبَحَتْ آمَالِي إِلَيْكَ حَ ـوادِيـاَ

هُنَاكَ يُنَادِي: اشْفَعْ تَشفَّع محمّد، وسَلْ مَا تَشَاءُ تُعْطَ المنَى والأمَانِياَ

فَيُنْقِذُنَـا مِنْ ذَلِكَ الهَـوْلِ جَـاهُـهُ ويَحْجِـزُنَـا عَنْ زَفْـرَةِ النَّـارِ وَاقِيـاَ

فَمَـا لِي سِوَى حُبِّي إِلَيْـهِ وَسِيلَـةٌ تَـرُدُّ عَنِ اللّهْفَـانِ تِلْكَ المرَادِيَا

يتوسّل الشّاعر في هذه الأبيات ويدعوا متذللا خاشعا خير الأنام طمعا في شفاعته يوم القيامة، موظفا الكناية في قوله (يا ذا المعارج) كناية عن الرّسول لعروجه وصعوده إلى السّماوات العلى، فهو الأمل والرّجاء، كرّمه الله واصطفاه فهو أكرم الأوّلين والآخرين، خصّ كلّ نبي بدعوة في الدّنيا ودعوة الرّسول هي الشّفاعة يوم القيامة فمن أقواله صلّى الله عليه وسلّم: " لكلّ نبيّ دعوة يدعوا بها، واختبأت دعوتي شفاعة لأمّتي يوم القيامة"[3].

للثّغري قدرة على توظيف ألفاظ القرآن والأحاديث بما يتلائم وموضوعه، ومن ذلك البيت الثّاني المأخوذ من قول الرّسول صلّ الله عليه وسلّم :" فأنطلقُ حتّى أستأذنَ ربّي فيؤذَنَ فإذا رأيت ربّي وقعتُ

[1] القاضي عياض، كتاب الشّفا، ص145.
[2] الثّغري التّلمساني، الدّيوان، ص168.
[3] القاضي عياض، كتاب الشّفا، ص147.

ساجداً فيدعني ما شاء الله ثمّ يقال: **ارفع رأسَكَ، وسَلْ تُعْطَهْ، وقلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ** ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميدٍ يُعَلّمُنِيهِ ثمّ أشفع فيحدّ لي حدّا فأدخلهم الجنّة، ثم أعود إليه فإذا رأيت ربّي مثله، ثمّ أشفع فيحدّ لي حدّا فأدخلهم الجنّة، ثمّ أعود الثّالثة، ثمّ أعود الرّابعة، فأقول ما بقي في النّار إلاّ من حبسه القرآن"[1].

فبفضل جاهه ومكانته لدى ربّ العباد سينقذ المؤمنين من هول النّار وعذابها، وسيلته في ذلك حبّه الصّادق النّابع من قلب مخلص للنّبي، ساعدته حروف المدّ الموظفة بكثرة على التّصريح وإطلاق العنان لصوته بالدّعاء والتّفريج عمّا في نفسه(يا النّداء، راجيا، آمالي، حواديا، ينادي، واقيا)، ولذلك وظف الأصوات المهموسة كالتّاء والشّين والحاء والخاء وجاءت مناسبة لمقام الخشوع وللتّذلل وتواضع الشّاعر أمام الرّسول وربّه، أمّا الشّين فقد ورد في البيت الثّاني ثلاث مرّات للدّلالة على تفشي وشمولية الشّفاعة يوم الحساب.

[1] أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، م3، 6/ 43.

4. الإشادة بليلة مولده:

أعطى الشّعراء ليلة المولد النّبوي اهتماما كبيرا، وأشادوا بالليلة التي ولد فيها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وانحازوا إلى تعظيمها، وتفضيلها على الزّمان، وجعلوها سببا في ما ناله شهر ربيع الأول من شرف عظيم، وهو بدوره كان سببا في تشريف شهور السّنة كافة.

يعدّ تعظيم ليلة المولد النّبوي الشّريف من أهم العناصر التي تدخل في بناء القصيدة المولدية والغرض الرّئيس ، المديح النّبوي، وهي المناسبة التي من أجلها أُنشئت القصيدة، للإشادة بليلة المولد النّبوي الشّريف، فهذا الثّغري التّلمساني يذكر الاحتفال بليلة المولد النّبوي الشّريف فيقول(1) [الطّويل]:

بِمَوْلِـدِهِ الأَيَّـامُ رَاقَ جَمَـالُهَـا فَطَابَتْ لَنَا أَسْحَارُهَا والأَصَائِـلُ
أَشَهْرُ رَبِيـعٍ حُزْتَ كُلَّ فَضِيلَـةٍ بِأَفْضَلِ مَنْ تَمَّتْ لَدَيْـهِ الفَضَائِلُ
ولَيْلَـةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْهُ أَشْرَقَتْ فَفِيهَـا بَدَا بَدْرُ الهُدَى وَهُوَ كَـامِلُ

ارتبط الزّمن عند الثّغري بأوقات محدّدة تتعلّق بشهر ربيع الأوّل وليلة الاثنين، وهما وقتا مولد المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، ضيف يحلّ عليه كلّ عام يبتهج له الملك والعامة فيقيمون له الاحتفالات، والولائم وينظمون فيه القصائد واصفين إيّاه بأفضل الأوصاف، فافتتح الشّاعر البيت الثّاني بأسلوب نداء، ولكنّه لا ينادي شخصا بل ينادي شهر ربيع الأوّل ويخبره بأنّه شهر الفضائل والخيرات، باعتباره الشّهر الذّي شهد مولد المصطفى، فيشخص الزّمن، ويلبس عليه صفات ومشاعر إنسانية ، كما تكرّر حرف اللّام دلالة على التّغيير الذي حصل للنّاس بعد مجيئه.

(1) الثّغري التّلمساني، الدّيوان، ص99.

كذلك يقول أبو حمّو موسى[1][المتقارب]:

فَشَهْرُ رَبِيعٍ أتَى بِرَفِيعٍ نَبِيٍ شَفِيعٍ لِمنْ أَذْنَبَا
فَأَهْلًا وسَهْلًا لِمَوْلَى أَحَلاَّ وبَدْرٍ تجَلَى حَلَا غَيْهَبَا
نَبِيٌّ أتى رَحْمَةً لِلْعِبَادِ وأَظْهَرَ لِلْحَقِّ نوُرًا خَبَا

يعود الشّاعر إلى الحديث عن ليلة الاثنين، وعن شهر ربيع الأوّل ومكانته في القلوب؛ لأنّه أتى بشفيع هذه الأمّة، فيرحّب أبو حمّو بعودة هذا الضّيف وهذه اللّيلة المباركة، فهم يحتفلون بميلاد من أتى رحمة ونورا للعباد.

يقول التّلاليسي[2][المتقارب]:

أَتَانَا رَبِيعٌ بِشْرًا بِهِ فَحُقَّ الرَّبِيعُ عَلَى كُلِّ عَاقِلِ
فَحُيِّيتَ يَا شَهْرُ مِنْ قَادِمٍ سُرُورَ قُدُومِكَ لِلْخَلْقِ شَامِلِ

يقول الثّغري في قصيدة مخمسة[3] [الخبب]:

يَا لَيْلَ الإِثْنَيْنِ، افْتَخِرْ بِالبَدْرِ الطَّالِعِ مِنْ مُضَرْ
فِي لَيْلَةِ يَوْمِ اثْنَيْ عَشَرْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعَ المشْتَهِرْ
بِالمَوْلِدِ فَهُوَ بِهِ عَلَمْ.
يَا شَهْرُ، بِكَ افْتَخَرَ الدَّهْرُ يَا شَهْرُ، جَمَالُكَ مُشْتَهِرُ

---

[1] يحي بن خلدون، بغية الرّواد، 359/2.
[2] م.ن ، 2/ 109.
[3] الثّغري التّلمساني، الدّيوان، ص92.

يَا شَهْرُ، كَمَالُكَ مُنْتَشِرُ   يَا شَهْرُ، قُدُومُكَ يَا شَهْرُ

تُحَيِّ بِنَوَاسِمِهِ النَّسَمُ.

مدح الثّغري ليلة الاثنين التي ولد فيها الرّسول الكريم موجها الخطاب لها أنِ افتخري فقد كان لك شرف ولادته، مشبها إيّاه بالبدر على سبيل الاستعارة التّصريحية، ولعظم هذا اليوم والشّهر نجد الثّغري يكرر لفظة(يا شهر) لما للتّكرار اللّفظي من دور في إغناء النّص، يحاكي بها نفسية الشّاعر المتلّهفة للقاء الرّسول من جهة، والتّغني بليلة الميلاد من جهة ثانية، تعبيرا عن الشّوق واللّهفة، والإجلال، وعظمة هذا شّهر ربيع الأول ، وجود الجناس(مشتهر/ منتشر،شهر/ دهر)، تكرار حرف الرّاء في هذه الأبيات دلالة على تكرّر الوجد، والحبّ لدى الشّاعر كلّ سنة بحلول شهر ربيع الأوّل، الذي يحمل بحلوله ذكرى المولد النّبوي الشّريف.

خاتمة

بعد الوقت الّذي أمضيناه في البحث والاستقصاء عن فن المولديات والمديح النّبوي بصفة عامة، ودراستها دراسة موضوعية فنيّة خرجنا بنتائج مفادها:

– أنّ المديح النّبوي هو ذلك الشّعر الذي يختص بمدح الرّسول الكريم صلاة الله عليه وسلامه، بذكر خصاله ومحامده، وصفاته الخَلْقيَة والخُلُقِيَة، يختلف عن المدح الآخر لأنّه يتسّم بالصّدق والمحبّة والإخلاص والوفاء.

– أنّ المديح النّبوي لم يأت مستقلا في بداياته، إذ لم ينشئ الشّعراء لهذا الغرض قصائد مستقلّة، بل جاء المديح النّبوي مضمنا في قصائد الفخر والهجاء.

– كان لقصيدة المديح النّبوي في زمن الفتوحات رسالة لابدّ أن تؤديها، فكان لزاما عليها أن تدافع عن الدّين الجديد ، وتمدح رسالته، وابتعد الشّعراء فيها عن المعاني التي تتنافى وتعاليم الدّين، راسمين صورة واضحة لشكل القصيدة في صدر الإسلام.

– عرف العصر العبّاسي نضج فن المديح النّبوي واكتماله، بظهور العديد من الشّعراء الذين أبدعوا قصائد فيه وعلى رأسهم البوصيري الذي نالت قصيدته البردة من الصّيت والشّهرة ما لم تنله قصيدة قبل، وأصبحت مثالا يحتذيه الشّعراء لينسجوا على منواله، ويسيروا على نهجه؛ أتت المدائح النّبويّة في هذا العصر لمكافحة تيار اللّهو والمجون والانحلال الذي شاع، وتفشي في كامل الأوساط.

– لم يكن شعراء المغرب بمعزل عن المشرق فقد نظموا قصائد في خير البرية منذ العصر الفاطمي أي منذ القرن الرّابع للهجرة، ازدهر هذا الفن ، وشاع بين الشّعراء خلال النّصف الثّاني من القرن السّابع لهجر ة.

– لم تبق قصائد المديح النّبوي راكدة، بل بحث أصحابها عن التّجديد والتّطور، وهو ما نتج عنه في القرن الثّامن لهجر ة انتشار شعر المولديات وشيوعه، كما أسهمت عوامل أخرى على انتشاره منها الحرص على التّمسك بالدّين، انتشار التّصوف، وفن المديح النّبوي... .

– يرجع الفضل في انتشار الاحتفال بالمولد النّبوي شعبيا ورسميا في المغرب العربي إلى الفقيه أبي العبّاس أحمد العزفي السّبتي، وابنه الأمير أبي القاسم محمّد.

-كان احتفاء ملوك بني زيان بتلمسان بالمولد النّبوي مناسبة بهيجة يشهدها أعيان المملكة، وأعلام الفكر والثّقافة، وكان الأدباء ينشدون بالمناسبة قصائد في مدح رسول الله، صاحب الذّكرى، ومدح سلاطينهم وتهنئتهم. وابتدع أدباء تلمسان بتلك القصائد غرضا شعريا جديدا عرف بالمولديات والعيديّات، جمعوا فيه بين الّذاتي والدّيني والسّياسي.

– من أبرز شعراء الدّولة الزّيانية في المائة الثّامنة ، والذين نظموا أجود المولديات نذكر: أبّو حمّو موسى، يحي بن خلدون، التلاليسي، الثّغري التّلمساني، لقد انطوت مولدياتهم على كثير من القدرات اللّغوية والفنيّة، كما تميّزت بثراء مضامينها، وتنوّع موضوعاتها.

– تتألّف كلّ مولدية، باستثناء قصائد السّلطان الزّياني أبو حمّو موسى الثّاني، من أربعة أقسام متلاحمة: مقدّمة، مدح رسول الله (الغرض الرّئيس)، ومدح السّلطان مقيم الاحتفال، صاحب اللّيلة، وخاتمة. فقصائد أبي حمّو موسى الزّياني خلت من مدح السّلطان، وتكوّنت من ثلاثة أقسام: مقدّمة، مديح نبوي، وخاتمة .

– كانت القصيدة القديمة العموديّة(المعيارية الأصيلة) التي تقوم على وحدة الوزن والقافية، الإطار الذي آثره الشّعراء وقالوا فيه أكثر مولدياتهم .

– نوّع الشّعراء في مواضيع مقدّمات قصائدهم. وكان التّنويع ضرورة حتّى يتجنّبوا التّكرار والاجترار بسبب تجدّد الذّكرى، فكان للمقدّمة الطّللية– النّسيبيّة الحظ الأوفر في المقدّمات. وذلك دليل على ترسّخها في غرض المدح. ونجد إلى جانبها، كذلك: مقدّمة الشّيب ومعاتبة النّفس، ومقدّمة وصف الرّكب الحجازي، ومدح ليلة الاثنين وشهر ربيع الأوّل، والمقدّمة الصّوفية.

– قسّم أعلام الشّعراء حياة الرّسول الكريم، في المدح الدّيني(الغرض الرّئيس): ثلاثة أقسام: ما قبل حياته الدّنيوية، وحياته الدّنيوية، وما بعد حياته الدّنيوية، ونوّهوا بما أكرمه الله من فضائل في كلّ مرحلة من تلك المراحل، وفي هذا الجزء يتناول الشّعراء جوانب من حياة النّبي صلى الله عليه وسلّم، ويتّخذونها مادة لقصائدهم، كحقيقة خلقه، وتعداد صفات النّبي ومعجزاته، والإشادة بليلة مولده، والشّفاعة والتّوسل.

- حرص شعراء المولديات أن يكون المقطع ذا صلة بالموضوع الأساس، وقد تنوّعت خاتمة المولدية بين دعاء أو مدح السّلطان الحاكم، أو الجمع بين مدح السّلطان والصّلاة على النّبي. - إنّ المولديات نصوص متعدّدة الأقسام، ثريّة بالمعاني، محكمة التّأليف، جميلة الأسلوب جمع فيها الشّعراء بين الذّاتي، والدّيني(الرّوحي)، والسّياسي(الدّنيوي).

-لم يخرج شعراء المولديات في المغرب الأوسط في هذه الفترة عن تقاليد القصيدة العربية المعروفة، وفيما يخصّ البنية الإيقاعية فمن حيث الوزن والقافية، وميل الشّعراء لاستعمال البحور الطّويلة خاصة الطّويل والكامل، واستعمال القافية المطلقة، كما نجد أنّ حرف الرّوي جاء منسجما مع الموروث الشّعري، باختيار الشّعراء الحروف الأكثر شيوعا رويا لمولدياتهم مثل (الميم، اللّام ،النّون).

- أمّا الإيقاع الدّاخلي، فنلحظ أنّ اختيارات الشّعراء للحروف المجهورة والمهموسة، ارتبطت في الغالب بالأحوال النّفسية ومقتضيات التّعبير، وبذلك أدّت دورها في ضبط الإيقاع والتّحكم فيه.

- حرص الشّعراء على توظيف الجناس الذي أدى دورا فعّالا في استحداث موسيقى داخلية للبيت الشّعري (موسيقى الكلمة)، وإضفاء نغم موسيقي جميل على أشعارهم يتناسب مع المعنى المراد تحقيقه.

- حقق النّداء الموظف رغبة الشّاعر في التّواصل بين المنادِي والمنادَى، اعتمد الشّعراء على الياء كآداة للنّداء لما تحققه من امتداد صوتي يناسب الإنشاد، وأدّى النّداء دلالات وأغراض مجازية كالتّضرع، ومناجاة المولى، ورجاء الشّفاعة النّبوية.
- أدرك شعراء المولديات أنّ الشّعر فن تصويري لا تقريري، لذلك عمدوا إلى توظيف الصّور الشّعرية بمختلف أنواعها بغية تجسيد ميلهم الرّوحي، وعشقهم لمعشوق يتجلى في الحضور، والغياب المتمثل في شخصية الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم.فاتّخذوا من الصّور التّشبيهية والإستعارية أدوات فنيّة للتّعبير عن تجربته م الشّعرية وعرضها، كما أتاح لهم توظيف الإستعارات التّعبير عن مختلف المعاني والمشاعر، وإبرازها في صور حيّة غنيّة بالخيال والإبداع، كما سعوا من خلالها إلى تقديم المعنى في صور حسيّة يتداخل فيها عالم الأفكار بعالم المحسوسات، كما عمدوا إلى توظيف الصّور المتقابلة قصد توضيح المعنى وإبراز الدّلالة، من خلال إيراد الصّورة وضدّها.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية، الجزائر، 2008.

أ. **قائمة المصادر:**

1. التّنسي محمّد بن عبد الله الحافظ، تاريخ بني زيان، ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان)، تحقيق:محمود آغا بوعياد، تلمسان عاصمة الثّقافة الإسلامية، الجزائر، (د،ط)، 2011 .
2. أبو حمّو موسى الزّياني، واسطة السّلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدّولة التّونسية،تونس، (د،ط)، 1279.
3. ديوان الثّغري التّلمساني، تح نوار بوحلاسة، تح: نوار بوحلاسة، منشورات مخبر الدّراسات التّراثية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، (د،ط)، 2004، ص 72.
4. عبد الرّحمن بن خلدون، المقدّمة، تح: ابن عبد الرّحمن عادل بن سعد، الدّار الذّهبية، القاهرة، 2006.
5. أبو العباس الغبريني، عنوان الدّراية (في من عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية)، تح:عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان،ط 2، 1979.
6. المقري التّلمساني:- أزهار الرّياض في أخبار عيّاض، تح:مصطفى السّقى، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، المغرب، (د،ط)، (د،ت).

7.-نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، تح:إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1988.

8. يحي بن بخلدون (أبو زكريا)، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، بوزياني الدّراجي، نشر المكتبة الوطنية، الجزائر، ج2/1، ط1، 1980.

ب. المراجع:

1. أحمد البحتري، الجديد في أدب الجريد، نشر الشّركة التّونسية للتّوزيع، (د،ط)، (د،ت).
2. جميل حمداوي، شعر المديح النّبوي في الأدب، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2007.
3. الخطيب التّبريزي، الوافي في العروض والقوافي،تح: الحسّاني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1994.
4. حازم القرطاجني أبو الحسن، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح:محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1986.
5. ديوان أبو طالب، شرح محمّد التّونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
6. ديوان البوصيري، تح: محمد سعيد الكيلاني، مكتبة القاهرة، مصر، ط 2، 1973 .
7. ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، دار صادر، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).
8. ديوان كعب بن زهير، قرأه وقدّم له: محمّد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
9. ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تح: مجيد طراد، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
10. ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، تح:صلاح الدّين الهواري، دار الهلال، بيروت، ج1، 1996، ط1.
11. زبير دراقي، المستقصي في الأدب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، (د، ت).
12. زكي مبارك، المدائح النّبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1956.
13. شهاب الدّين محمد بن أحمد الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

14. شوقي ضيف: - تاريخ الأدب العربي، عصر الدّول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السّودان)، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1990.

15 – الفن ومذاهبه في الشّعر العربي، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، 1978.

16. الطّاهر بونال، التّصوف في الجزائر خلال القرن السّابع والثّامن الهجريين، عين مليلة، الجزائر، (د،ط)، 2004.

17. عبد الحميد محمود، المعجزة والإعجاز في سورة النّمل، دار القلم للطباعة والنّشر والتوزيع، دمشق، (د، ط)، (د، ت).

18. عبد الرّحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، ج2، ط4، 1980.

19. عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النّهضة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

20. أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، م3، ج6، ط1، 2002.

21. أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النّيسابوري، المستدرك على الصّحيحين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

22. أبو العباس سيدي أحمد بن عمّار، نحلة اللّبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب، مطبعة بونتانة، الجزائر، (د،ط)، 1903.

23. على إبراهيم كردي، الشّعر العربي بالمغرب في عهد الموحدين موضوعاته ومعانيه، دار الكتاب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2010.

24. علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي، (نشأتها ،تطوّرها،أثرها)، عالم الكتب، دمشق، ط1، 1983.

25. علي بيهي، قضايا في أدب الجاهلية، مطبعة المعارف الجديدة، الرّباط، المغرب، ط1، 2006.

26. عبد المنعم خفاجي، عروض الشّعر العربي، مكتبة القاهرة، مصر، ط1، (د، ت).

27. عبد النّور داود عمران، البنية الإيقاعية في شعر الجواهرى، دار الفكر العربي، لبنان،ط1، 1996.

28. غازي شيب، فن المديح النّبوي في العصر المملوكي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

29. غازي طليمات، عرفان الأشقر، الشّعر في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، ط1، (د، ت).

30. أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تح :عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

31. فيروز الموسى، قصيدة المديح الأندلسية، الهيئة العامة السّورية للكتاب، وزارة الثّقافة، ط1، 2009.

32. ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء، تح:أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ج1، ط2، 1982.

33. أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف، مؤسسة الرّسالة العتيقة، ج2، ط1، 1982.

34. القاضي عياض،كتاب الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، مراجعة هيثم الطّعيمي ونجيب ماجدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2003 .

35. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل:- تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة، السّعودية،ج1، ط1، 1997.

36- السّيرة النّبوية، تح:مصطفى عبد الواحد، دار إحياء التّراث العربي، لبنان، بيروت، (ج3،2،1)، ط1، (د،ت).

37. محمد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النّبوي، تح: ياسين الأيوبي، دار الهلال، بيروت، لبنان، ط1، (د،ت).

38. محمّد بن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، ج1، ط1، 1982.

39. محمّد حسن عبد الله، الصّورة والبناء الشّعري، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).

40. محمّد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ج1، (د، ط)، (د، ت).

41. محمّد الصّادق عفيفي، محمد بن تاويت، الأدب المغربي، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، لبنان، ط 2، 1969.

43. محمد بن عمرو الطّمار: - تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1984.

- تاريخ الأدب الجزائري، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، (د، ط)، (د، ت).

44. محمّد كراكبي، خصائص الخطاب الشّعري في ديوان أبي فراس الحمداني، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، (د، ط)، 2003 .

45. محمّد مرتاض، الشّعر الجزائري القديم من (ق3هـ إلى مطلع العصر الحديث)، وزارة الثّقافة، الجزائر، (د، ط)، (د، ت).

46. محمود على مكي، المدائح النّبوية، الشّركة المصرية العالمية للنّشر، مكتبة لبنان، ط1، 1991.

47. ابن مريم التّلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.

48. منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د، ط)، 1986.

49. ابن هشام الأنصاري: شرح قصيدة بانت سعاد، وبهامشه حاشية الإسعاد للإمام الشيخ الباجوري، ملتزم الطّبع والنّشر، عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة، ط1، (د، ت).

50. أبو هلال العسكري، كتاب الصّناعتين، تح:محمد البجاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، (د،ت).

51. وهب رومية، قصيدة المدح حتّى نهاية العصر الأموي، منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، (د، ط)، 1987.

52. يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النّقد العربي القديم في ضوء النّقد الحديث، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 2، 1982.

ج. المعاجم:

1. إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزّيات وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (د، ط)، 1972.

2. الزّمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1996.

3. أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، دار الجيل الجديد، بيروت، لبنان، ج4، (د، ط)، 1988.

4. المنجد في اللّغة والإعلام، دار الشّرق، بيروت، لبنان، (ط 25)، 1986.

5. الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج4، (ط 3)، 2001.

د. الرّسائل الجامعية:

1. موسى مريان، المولديات في المغرب والأندلس في القرن الثّامن الهجري، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2010/2009.

2. نوار بوحلاسة، الشّعر الزّياني(633هـ، 962هـ)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم، جامعة قسنطينة، 1989.

الفهرس

الفهرس

-مقدمة

-الفصل الأول: تطور المديح النّبوي

I. مفهوم المديح النّبوي..05

II. نشأة المدائح النّبوية 08

III. المولديات..18

1. مفهومها...18

2. علاقة المولديات بالفنون الأخرى..............................24

أ. بالمديح النّبوي..24

ب. بالبديعيات..25

ج. بالتّصوف...27

3. بناء المولدية..29

1. مقدّمة...32

أ. المقدمة الطّللية..33

ب. مقدّمة الشّيب وعتاب النّفس.................................37

ج. مقدّمة الرّحلة..40

2. الغرض الرّئيس(المديح النّبوي)................................42

3. الخاتمة 44

-الفصل التّطبيقي: دراسة موضوعية فنّية

1. مدح الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وتعداد مناقبه.............50

- الحقيقة المحمّدية..50

أ. تقدم خلق الرّسول ونبوّته وتأخر بعثه..........................51

ب. سطوع النّور يوم ميلاده وارتجاج إيوان كسرى...............54

2. تعداد معجزاته وفضائله.......................................61

أ. القرآن الكريم المعجزة الخالدة..................................61

ب.قصّة الإسراء والمعراج...64

ج. معجزات أخرى..69

3. الشّفاعة والتّوسل...74

4. الإشادة بليلة المولد النّبوي 78

- خاتمة...80

- قائمة المصادر والمراجع...86

- الفهرس 94